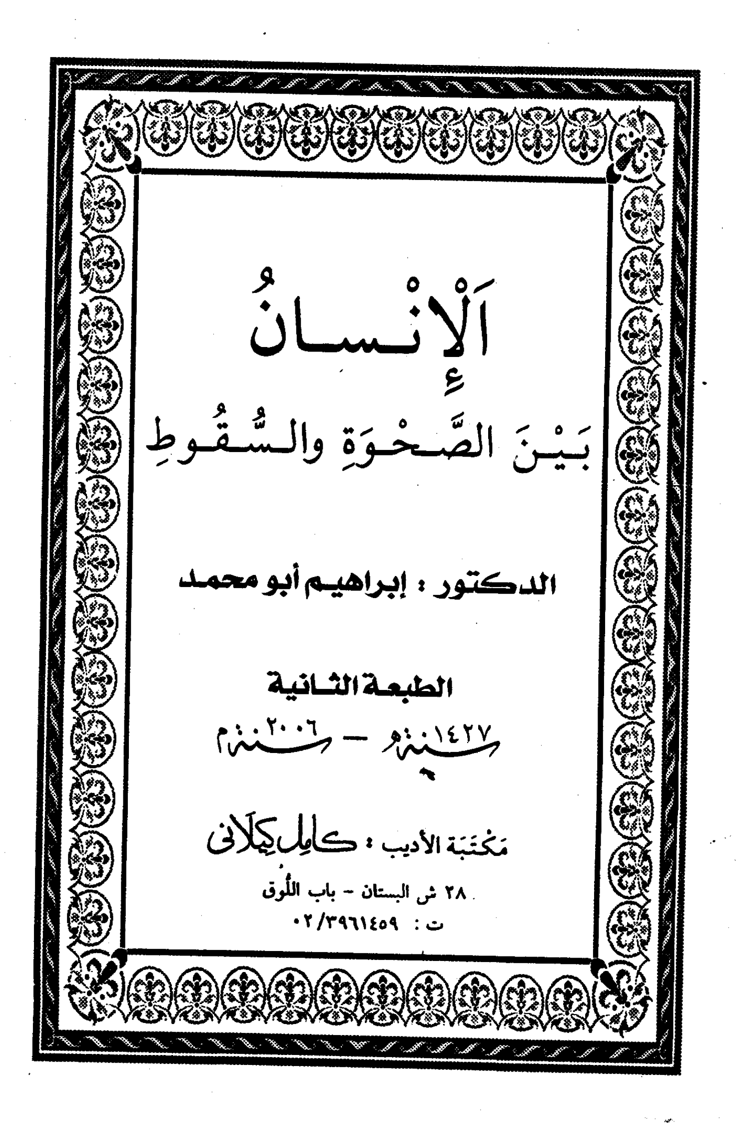


الإِنْسانُ

بَيْنَ الصَّحْوَةِ والسُّقُوطِ

الدكتور : إبراهيم أبو محمد

الطبعة الثانية

سنة ١٤٢٧هـ - سنة ٢٠٠٦م

مَكتَبَة الأديب : كامل كيلانى

٢٨ ش البستان - باب اللوق

ت : ٠٢/٣٩٦١٤٥٩



بطاقة فهرسة :

فهرسة دار الكتب والوثائق القومية

أبو محمد ، إبراهيم

الإنسان بين الصحوة والسقوط/د. إبراهيم أبو محمد - القاهرة :

ط ١ - القاهرة : مكتبة الأديب كامل كيلانى : ٢٠٠٦

١٠٤ صفحة : ١٤×٢٠ سم

١ - الإنسان (الإسلام)

٢ - العنوان : ٢٨ شارع البستان - باب اللوق

رقم الإيداع : ٢٠٠٦/٨٩٠٠ ٢٤١

إهْــــداءٌ

إلَى الرِّجالِ الَّذِينَ ضَحَّوْا بِمَواقِعِهِمْ، مِنْ أجْلِ مَبادِئِهِمْ ! ..
إلَى الأحْرارِ الَّذِينَ رَفَضُوا أنْ يَبِيعُوا أقْلامَهُمْ وَضَمائِرَهُمْ
- فِي أسْواقِ الْكَلِمَةِ - لِلتَّاجِرِ، والسِّمْسارِ ..
رَغْمَ إغْراءِ الصَّفْقَةِ، وَبَرِيقِ الذَّهَبِ، وَوَهَجِ السُّلْطانِ ! ..
إلَى الَّذِينَ رَفَضُوا أنْ يَتَحَوَّلُوا إلَى دُمًى
فِي أيْدِي طُغاةِ الْعَصْرِ،
وَفَضَّلُوا أنْ يَقْتاتُوا الْكَفافَ،
أوْ رَبَطُوا بُطُونَهُمْ جُوعًا وَهُمْ شُرَفاءُ ..
مِنْ أنْ يُتْخَمُوا بِالطَّعامِ، أوْ يَجْلِسُوا
عَلَى قِمَّةِ السُّلْطانِ، وَهُمْ خَوَنَةٌ ..
إلَى الرِّجالِ الَّذِينَ رَفَعُوا مِنْ قُدْسِيَّةِ الْكَلِمَةِ،
حِينَ جَعَلُوها نَصِيرًا لِلْحَقِيقَةِ ؛
فَكانَ مِدادُ أقْلامِهِمْ يُوزَنُ بِدِماءِ الشُّهَداءِ
فَيَرْبُو عَلَيْهِ وَيَزِيدُ ! ..
إلَى الرِّجالِ الَّذِينَ آمَنُوا أنَّ الْكاتِبَ والْعالِمَ والأدِيبَ
إنْ لَمْ يَكُنْ نَصِيرًا لِلْمَظْلُومِينَ،
فَلَنْ يَكُونَ إلَّا شَرِيكًا لِلظَّالِمِينَ ! ..

إلَى الأَحْـرارِ الَّذِيـنَ لا زالُـوا عَلَى الثُّـغُـورِ مُرابِطِـيـنَ ،
وَعَلَى عَـهْـدِهِـمْ بِالرُّجُولَةِ والْكَرامَةِ
وَرَفْضِ الْمَظالِمِ فِى كُلِّ صُـوَرِها ..
إلَى الَّذِيـنَ تـاقَـتْ أَرْواحُـهُـمْ إلَى الْفِرْدَوْسِ ،
بَعْدَما أَضْحَتِ الْحَياةُ مَلْهاةً وَمَأْساةً ،
وَلَمْ يَبْقَ فِيـها إلَّا طَعْمُ الْكِفاحِ مَمْزُوجًا بِمَرارَةِ الْعَلْقَمِ ..
حِيـنَ يَتَجَرَّعُهُ الشُّرَفاءُ والنُّخْبَةُ مِنَ الْعُلَماءِ الْعامِلِيـنَ !..
إلَى الَّذِيـنَ صَدَقُوا عَهْدَهُمْ ، وَأَدَّوْا أَمانَتَهُمْ ؛
وَأَرَّقَتْ كَلِماتُهُمْ مَضاجِعَ الظَّالِمِيـنَ ..
إلَى كُلِّ الرِّجالِ الَّذِيـنَ فَضَّلُوا - وَيُفَضِّلُونَ -
أَنْ يَمُوتُوا واقِفِيـنَ
وَجِباهُهُمْ بِكِبْرِياءِ الإيمانِ مَرْفُوعَةٌ ..
مِنْ أَنْ يَعِيشُوا أَذْنابًا مَهْزُومِيـنَ ! ..
إلَى كُلِّ الشُّرَفاءِ الَّذِيـنَ يُفَضِّلُونَ أَنْ يَمُوتُوا بَرْدًا ..
مِنْ أَنْ يَسْتَدْفِئُوا بِظِلالِ سُلْطَةٍ خائِنَةٍ ،
وَسُلْطانٍ غادِرٍ، وَصاحِبِ عَرْشٍ مُزَيَّفٍ ..
إلَى هٰؤُلاءِ جَمِيعًا أُهْدِى هٰذا الْكِتابَ .

المؤلف

اَلْإِنْسَانُ
بَيْنَ الصَّحْوَةِ .. والسُّقُوطِ

عزيزي القارئ

النوم يستغرق الثلث من عمر الإنسان عموماً، لكنه يستغرق الزمن كله من عمر أمتنا في الوقت الراهن.

وفي زمن اليقظة من حياة أمتنا كان المفهوم هو قتل الفتنة والقضاء عليها في مهدها قبل أن يتطاير شررها ويستفحل ضررها وقيل في ذلك «الفتنة نائمة.. لعن الله من أيقظها» .. أما في زمن النوم والغفلة، زمن النباهة والاستحمار أو زمن التراجع والانكاسارات فقد تبدل المفهوم وانعكس بفعل أعدائنا في الداخل والخارج معاً ليصبح هكذا **«الأمة نائمة لعن الله من أيقظها»** ..
وهكذا بدأ الإنسان يدخل عصر السقوط ضمن أمة طال ليلها وطال نومها ولم يبق متيقظ فيها إلا أعداؤها يخططون وينظمون لتبقى الغفلة، ويبقى الليل ويستمر الظلام لأنهم في ظله يفعلون بالإنسان والأمة ما يحلو لهم. والويل لمن يشير إلى الخطأ.. أو ينبه إلى الخطر أو يحذر الأمة من الكارثة أو يوقظ النائمين ولو بكلمة ...
وأمام هذا الوعيد والتهديد دخلت الكلمة دوامة الدوران حول الذات وأضحت لا تنطق ولا تشير، وإنما تجيء وتروح حول نفسها في

حالة دوران وغموض وهروب ليبقى قائلها بعـيـداً عن المؤاخذة والعقاب، ومن هنا فقدت مدلولها ومعناها وتحولت إلى لا شيء فلا طعم ولا لون ولا رائحة لأكثر ما يكتب أو يقال، ولعلـه مـن المفيد هنا أن أستعير كلمات الشاعر الطريد أحمد مطر وهو يعبر عن هذه المأساة والملهاة في قصيدة له بعنوان الأرمد والـكـحـال جاءت كلماتها هكذا:

قد عسى لا إنما من إلى في ربما
هكذا سلمك الله قـل الشـعر لتبقى سـالما
هكذا لن تشهق الأرض ولن تهوى السما
هكذا لن تصبح الأوراق أكفانا ولا الحبر دما
هكذا وضِّحْ معاليك دواليك دواليك
لكـي يعطيـك واليـك فمـا
وطني يا أيها الأرمد ترعاك السما
اصبح الوالي هو الكحال فابشر بالعمى

وهكذا في زمن النوم دخلت الكلمة الشريفة مرحلـة الـتـحـريم، وفصلت تفصيلاً ولا زالت تفصل قوانين جديدة للمطبوعات تحرم النقد وتحظر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتنكل بـكـل مـن ينطق أو يشير إلى اللصوص الذين يسـرقـون مـقـدرات الأمـة، ويبيعون حاضرها ومستقبلها في سوق النـخـاسـة الـدولـيـة ويعبثون بمقوماتها ومكوناتها في الداخل والخارج معا ...

وفي الوقت الذي تصادر فيه الكلمة الصادقة وتقصف فيه الأقلام الشريفة تجزل العطايا وتفتح كل الأبواب للشياطين الخرص الساكتين عن الحق، أو المنافقين الذين يجيدون التبرير والتزوير والتحوير ويتقنون فن التصفيق والهتاف وتصدير مسيرات التأييد والمبايعة بالروح والدم ويحتكرون حق المواطنة والوطنية لصالحهم ولصالح سادتهم وحدهم.

ولما كانت العملة الرديئة والمزيفة تطرد العملة الصحيحة من الأسواق فقد خلت الساحة من الكتابات الجادة وسيطر على التوجيه وصياغة الرأي العام كتاب يمثلون ظلال الأصنام السياسية وأبواق السلطان، وهؤلاء هم سدنة كل عصر. يعيشون -وكأنهم جراثيم- على جراح أمتنا فيأكلون على كل مائدة، ويرقصون في كل فرح وينوحون في كل مأتم. إنهم جاهزون في كل الأحوال ما دامت تفتح لهم الأبواب وتجزل لهم العطايا ويحتكرون لأنفسهم ولسادتهم وحدهم وصف المواطن الصالح.

وهكذا صارت بلادنا -بلاد الإسلام عموماً وبلاد العرب خصوصاً- أوطاناً بلا وطنيين، ومن ثم فقد انقلبت الصورة رأساً على عقب حتى بدا الاقتراب من الحق شبهة، والتصريح به بدعة وضلالة، ودعوة الناس إلى التمسك به مغامرة مفخخة بالكثير من المخاطر التي تجلب لصاحبها الكثير من المتاعب والمضايقات التي تبدأ عادة بمنعه من السفر وتنتهي باعتقاله وسجنه وإعلان الحرب عليه

باعتباره ارهابيا متمرداً يجب مصادرة حريته وتجويعه لأنه عدو للبلاد ومفسد للعباد وملحد لا يؤمن بسلام المتحضرين ولا بثقافة التطبيع... وهكذا يتم المسخ والتشويه وقلب الحقائق، ويغرق الإنسان وتغرق الأمة بكاملها في محيط صنعه أعداؤها ومغتصبوا أرضها وكرامتها وحلمها..

وأمام هذه المأساة تستدعي الذاكرة على عجل تلك الأبيات الشعرية الساخرة وهي تصور حالة الغفلة أو حالة النوم التي تسيطر على الأمة وتطالب الإنسان البائس وسط هذه البيئة الملوثة ثقافة وأخلاقاً، أن يتراجع ويتخلى عن مواقفه وعن هواجسه وحتى عن حواسه التي منحها الله له، وأن يسكت ولو على مضض كي يحظى بأبسط حقوقه... وإلا فالويل له إن تكلم أو أشار، وكان الشعار المرفوع هو: **في الزمن الرديء تغيّب الرجولة، ويفقد الشرف قيمته ومعناه**، ويكون السكوت من ذهب، وينادي منادي الباطل:

ياقوم لا تتكلموا	إن الكلام محرم
ودعوا التحدث جانباً	فالخير ألا تفهموا
وتشبثوا في جهلكم	فالشر أن تتعلموا
ناموا ولا تستيقظوا	ما فاز إلا النوم
من شاء منكم أن يعيش	اليوم وهو مكرم
فليمش لا سمع ولا بصر	لديه ولا فم
لا يستحق كرامة	إلا الأصم الأبكم

عزيزي القارئ. هذا الكتاب الذي بين يديك **"الانسان بين الصحوة والسقوط"** فيه كلمات بعضها هادئ وبعضها صارخ، حاولت فيها أن أعبر عن الواقع وأن أشير إلى الخطأ وأن أنبه إلى الخطر والكارثة المنتظرة... وقد جلبت هذه الكلمات لصاحبها الكثير من المتاعب والمنغصات بالفعل... وأعرف أيضاً أنها تكلف الكثير، وقد يكون ثمنها باهظ التكاليف .. لكنها على كل حال يجب أن تقال وفي صراحة ووضوح بصرف النظر عن كل الاعتبارات التي تحمل الوعيد والتهديد، وأملي في الله كبير أن تهدي هذه الكلمات بقدسية القول المضيء حائراً أو ترشد ضالاً أو تخلق موقفاً أو تكوّن رأياً أو تشكل ضغطاً أو تنير طريقاً أو توقظ غافلاً فتعيده إلى الصحوة وتحميه من السقوط.

سيدني في ٢ ربيع الاول ١٤١٩ هـ

الموافق ٢٦/٦/١٩٩٨م

المؤلف

تمهيد

عزيزي القارئ ما سنطرحه عليك في هذا الكتاب هو بعض الحقائق المذهلة والبعض كثير، وقد حاولت خلال الطرح لهذه الحقائق ان التزم بروح الباحث المتجرد، لكن حجم المأساة في بعض الحقائق كان اكبر من كل الاحتمالات مما جعل القلم احيانا يهتف صارخا: هبوا للنجاة قبل ان تغرق السفينة ويعز النصير والمنقذ، خاصة ونحن نرى سكين الجزار تجري كل يوم على عنق الضحيـة فـي خطة تهدف الى تعميم القتل الجماعي للأمة الاسلامية وشعوبها، وفي حالة أشبه ما تكون بحالات الهستيريا المدفوعة بزخم اعلامي مضلل تحت دعوى القضاء على الاصولية والتطرف والارهاب .

كل ذلك يتم وفق مخطط مرسوم تستعمل فيه الامم المتحدة كستار ويستغل فيه مجلس الامن لتمرير المخطط...
والغريب العجيب ان القاتل يكافأ كلما امعن في القتل وسفك الدماء ما دامت الضحية مسلمة وتفتح له خزائن وبلاط السادة الكبـار الذين يريدون ان ينفردوا بزمام العالم وان يفرضوا علـيـه مـا يشاءون دون مقاومة او اعتراض والويل لمن ينطق او يشير فكل شيء جاهز وكل شيء جائز والتهم مكيفة قانونيا بما ذلك شهود الاثبات المتبرعين بضمائر وشعوب اممهم دون ان تبدو علـيـهـم علامات الندم جزاء ما اقترفوه او حتى تعلو وجوهم حمرة الخجل.

واذ يخرج هذا الكتاب في الوقت الذي يحاكم فيه الفكر والمفكر ممثلا في العملاق جارودي الذي رفض ان يكون الشيطان الاخرس وانتصر على كل عوامل الوعيد والتهديد، وتجرأ بقول الحقيقة ومعانقتها، وكشف الاساطير في محاولة لإزاحة الغشاوة عن الضمير العالمي ليرى الحقيقة بعينيه ويسمعها بأذنيه، اذ يخرج هذا الكتاب في هذا الظرف فانه ليؤسفني ان يسجل العار على كتّاب واقلام رضيت ان تعيش في مهاد الذل وباعت شرفها في سوق النخاسة الفكرية لسماسرة الثقافة وقبضت الثمن جائزة مشبوهة وملوثة وملطخة بدماء الحقيقة بعد ان اغتالتها يد الفساد في الارض وتريد ان تسكت بالوعيد والتهديد والمحاكمة والنفي كل شهود الاثبات والادانة على تلك الجريمة في كل البلاد بما في ذلك عاصمة الحرية والنور: باريس: كما يقول عنها المعجبون بها والمغرمون بالفرانكوفونية.

وتسود العالم حالة من الصمت المخجل فلا يرتفع صوت بالاعتراض او التنديد، ولم نسمع لدعاة حقوق الانسان صوتا يدوي بينما يعلو صراخهم ويكثر ضجيجهم كلما استشعروا عن بُعْد مجرد تهديد بمحاكمة لمارق من شريعة اللّه او مرتد عن دينه. وهكذا تمضي قصة اغتيال الامة بكل شعوبها ويتم التعامل معها بأكثر من معيار وبأكثر من وجه وبأكثر من اسلوب.

فإن كانت الضحية مسلمة فكلمات التعبير عن الحالة تختار بدقة متناهية وعناية فائقة لتخلو من اي ادانة ولتكون دلالة واضحة على شيء واحد فقط هو: لا شيء، او لا حرج، او لا بأس بما يجري، وخير مثال على هذا هو ذلك المصطلح الجديد الذي سمعنا به اخيرا حين اطلقه احد وزراء الترويكا[1] في التعامل مع الازمة الجزائرية، فقد طالب الوزير المذكور والمشكور على حماسه بمزيد من الشفافية في التعامل مع الازمة. بينما جاءت الكلمات ومن نفس المصدر حاسمة وجازمة وقاطعة ومهددة ومتوعدة بضرب العراق وتدمير بنيته التحتية ما لم يفتح كل القصور امام لجنة التفتيش الدولية، والتي لا تريد ان تنتهي ابداً وكأنها تبحث عن إبرة في محيط، وقلت في نفسي: «ياللّه للمسلمين!»

ففي الازمة الاولى ازمة الجزائر سلطة ظالمة مغتصبة تسخر كل امكانيتها لسحق الاسلام والمسلمين في محاولة لقطع جذور وبذور الاسلام من اعماق ابناء الجزائر بلد المليون شهيد وتستعمل كل وسائل التزوير وتضليل الرأي العام وإلصاق التهم بالمسلمين وحدهم في مذابح تمارس يوميا بأيدي رجال السلطة وفي وضح

---

(١) الترويكا هي اللجنة الوزارية الثلاثية الممثلة للمجموعة الاوروبية التي زارت الجزائر لبحث الازمة الجزائرية

النهار فيكون الامر والحالة هذه: لا شيء انه شأن داخلي! واذا تحرك الضمير العالمي من مكانه بعد ان انكشف المستور وضجت الدنيا وفاحت الرائحة الكريهة وانكشفت المؤامرة وزالت الحجب لدى الصحافة والرأي العام بعد اعترافات رجال السلطة انفسهم في لندن وغيرها بارتكاب المجازر وممارسة عمليات الذبح الجماعي لقرى بأكملها، هنا يطالب الضمير العالمي بمزيد من الشفافية.!!

بينما هناك في ازمة العراق الكلمة مصحوبة او مسبوقة بالإعداد والتجهيز ورسم الخطة لان المطلوب ليس فقط تأديب نظام متمرد، وانما المطلوب تمزيق وطن وتشريد شعب وتركيع امة واعادة فك وتركيب المنطقة من جديد لتنفرد اسرائيل وحدها بمصير الامة والعبث بمقدراتها وتحقيق حلمها بإبتلاع الامتين العربية والاسلامية معا واقامة مملكة الرب المزعومة من الماء الى الماء او من النيل الى الفرات ويتم ذلك كله بمباركة ومشاركة رموز الخيانة والعار اصنام العرب الذين هم اول شهود الزور في تلك المأساة المجنحة والمتبجحة.

ولقد حاولت في هذا الكتاب ان احدد المسؤليات وان اشير الى الجناة وشهود الاثبات وشهود الزور في اخطر قضية تمر بأمتنا

عبر تاريخها الطويل، وقد جاءت الكلمات في هذا الكتاب واضحة ومعبرة ولم اشا ان اجعلها تهاويم تدور من بعيد حول الحقيقة تحدث طنينا ولكنها لا تصيب الهدف، وانما اثرت ان تكون مباشرة وصريحة في تحديد المسؤلية ارضاء لله اولا، وابراء للذمة ثانيا وذلك يرغم المتاعب والمنغصات والثمن الكبير الذي يمكن ان يدفعه كل صاحب قلم شريف وكلمة حرة في الزمن الردئ.

وحسبي في ذلك ان يكون ما جاء في هذا الكتاب صرخة نذير عار تقض الكثير من المضاجع وتوقظ الكثير من النائمين ومن بقيت لديهم بقية من روح ورجولة، غير عابىء بما يدبر في الخفاء او العلن بعدما اضحت الحياة ماساة وملهاة ولم يبق فيها ما يستساغ الا طعم الكفاح الممزوج بمرارة العلقم حين يتذوقه الرجال واصحاب الرسالات بحثا عن فجر جديد في أمة طال ليلها وطال نومها، وأضحت في حاجة ماسة إلى جراحة من نوع جديد.

نَوْعانِ مِنَ الْجِراحَةِ

أمتنا تحتاج إلى نوعين من الجراحة في عصرها الراهن:

١ – الجراحة الأولى تتم في عقول ساستنا وضمائرهم، تستأصل منها جرثومتين اثنتين:

الجرثومة الأولى:

سوء الفهم التقليدي للإسلام ، وسوء النية المبيتة للدعاة إليه والعاملين له. تلك الجرثومة المتوطنة في عقول وقلوب هؤلاء حتى توارثوها جيلا عن جيل، كأنها مرض وراثي يصعب الخلاص منه إلا بجراحة في العقول والقلوب والضمائر.

والغريب العجيب أن هؤلاء الساسة يدَّعون الانتماء إلى الإسلام، ولكن كل على طريقته هو، فهو ينتمي إلى إسلام من صنعه هو، يفصِّله تفصيلا، وبمقاسات تلائم ذوقه، وأهواءه ، وطموحاته ، وآماله ، وشهوته في التجبر والاستعلاء والقهر .

ترى من يقوم بهذه الجراحة في عصور هيمنة الأجهزة الجهنمية، ومن يخبر هؤلاء الساسة أنهم مرضى يحتاجون إلى جراحة عاجلة..

من يقوم بهذه المهمة ، من يخترق تلك الأجهزة وتلك الدوائر المغلقة ، والمضروبة حولهم. . ؟

وأما الجرثومة الثانية فهي:

جرثومة المذلة بين يـديَّ أعداء الله والكارهين لدينه والمتآمـريـن عليه، تلك الجرثومة التي تدفعهم إلى الهرولة وإراقة ماء الوجه والكرامة على أعتاب الأعداء وطلب ودهم ومحبتهم بكل وسيلـة ممكنة ، ولو كانت على حساب الحقوق ، أو على حساب الشعوب ، أو حتى على حساب العقائد والهوية ...وهؤلاء الطغاة المصابون بجرثومة المذلة هذه نراهم قد تنمروا واستاسدوا وكشـروا عـن أنيابهم وتكبروا وبطشوا بمن يخالفهم في الرأي أو يختلف معهم في الفكرة والمبدأ، فالطاغية يريد لكل الناس أن يفكروا بطريقته، أو يتولى هو شخصياً التفكير نيابة عنهم .

ويريد منهم أن يذوبوا في شخصه ، وأن يتحللوا من ذواتهم في ذاته هو .

فلا وطنية ولا انتماء إلا ما يحدده هو .

ولا مصلحة للوطن والمواطن إلا ما يحدده هو. ..

فهو الرمز ، والرأس ، والفكرة ، والمبدأ ، والـولاء ، والانـتـمـاء ، والقضية ، والمرجعية..

وهو الحاضر ، والمستقبل ..

وباختصار يختزل الوطن ، والمواطن ، والتاريخ كله ، والحاضر كله ، والمستقبل كله في شخصه هو .

فنحن ... به

ونحن ... معه

ونحن ... منه

ونحن ... فيه

وبدونه لا نحن ... ولا شيء...

إن كنا كذلك فكل شيء على ما يرام، وكل شيء تمام التمام.

وعندئذٍ فقط عندما تذوب الأمة في شخصه ويتلاشى الجميع في ظله يتحقق السلام الاجتماعي والوحدة الوطنية ويتم الإنجاز ويتخلص الشعب من المعاناة وتتم حماية المكتسبات...؟؟

وهكذا يتم خداع الناس وتتم عملية السيطرة على مشاعرهم ليذوبوا في شخص الطاغية، وبذلك يكون لتلك الجرثومة وجهان:

الوجه الأول: وجه تظهر به أمام أعداء الله ... تحابيهم وتطلب ودهم وتتمنى رضاهم... وترتمي عند أحذيتهم، وتمسح في بلاطهم ، وتسارع بتنفيذ ما يصدر عنهم من توجيهات لعلها بتلك المذلة تنال التأييد والنصر على أعدائها ... أعداء الوطن ودعاة الظلام وخفافيش الليل. كما يروج إعلامهم عمن يخالفهم الرأي أو يرفض أن يبيع نفسه وكرامته وأرضه.

والوجه الثاني وجه يظهر أمام الرعاع، من أبناء شعبه وكلهم – في نظر الطاغية– رعاع لا تردعهم غير العصا الغليظة.

ولا تردهم غير القوة .

ولا يعرفون مصلحة أنفسهم

ماذا يريد هؤلاء؟

ألم يكفهم فخـراً وعزاً أن يفكر لهم ونيابة عنهم السيد السلطـان الكبير ذاته؟

وأن يعبر هو سيادته بنفسه، لنفسه نيابة عنهم، وأن يختار بعينه البصيرة وببعد نظرة ما يراه مناسباً لهم!!!

تلك هي الديمقراطية الحقيقية: أن نفكر لك نيابة عنك أيها المواطن، وأن نعبر نحن عن رأيك أنت !! وأن يتم الاختيار -الحر -بطريقتنا -وعن طريقنا- بالنسبة والعدد الذي نحدده.

إن الديمقراطيات في الغرب فاشلة، انظر: إنها لا تحقق ولا تصل في نتائجها إلى ما نصل إليه...

إن ديمقراطيتنا الحرة المستقلة: تصل في نتائجـهـا ٩٩,٩٩٩ ٪ فهل يستطيعون في الغرب أن يصلوا إلى هذه النتيجة؟... إنـنـا نتحدى..

وأنت أيها المواطن الحر.. ألا تؤمن أن ديمقراطيتنا هي المتفوقة؟؟!!!

وهي الأولى في الدنيا كلها على ديمقراطيات العالم !

وبالتالي فهي الأولى بالإتباع والتطبيق..

ثم إن ديمقراطية الغرب بدعة وليست من الإسـلام فـي شـيء .. وأنت بالقطع وبغير شك عربي- وتدعي أنك مسلم- فكيف تقبلها وتدعو إليها ؟

وكيف تتطلع إليها أصلاً وتتحدث عنها؟

وكيف تستطيع أن تمارسها حتى لو جاءت بك الانتخابات الحرة واختارك الشعب كما تقول ؟

إنها لا تصلح للتطبيق والممارسة في بيئتنا العربية ... إفهم يا هذا ؟

إننا أدرى بمصلحتك ، وأعلم بما يفيدك وما يضرك، فدع نفسك لنا .. ونحن نحقق لك ما نتمناه لك وما نتمناه فيك ... لا ما تتمناه أنت.

فانت غير ناضج، وليست لك تجربة كافية... فكن معنا وكن بنا وكن فينا وكن لنا تربح الكثير وتحصل على الكثير وتفتح أمامك الكثير من الأبواب والمغاليق.. وتعيش هادئ البال، بعيدا عن منغصات التفكير، والثقافة، والحرية، تلك البدع التي اخترعها أعداؤك لينالوا بها منك . فدعك منها ، وعش مستريح البال بنا ومعنا وفي ركابنا...

٢- **أما النوع الثاني من الجراحة:** فهو يتصل بنفسية وعقول الجماهير، التي تحولت إلى دواب لا هم لها ولا اهتمام لديها إلا الطعام والجنس وشيئاً كثيراً من الثرثرة الفارغة وضاعت منها في غمرة البحث عن ذلك هويتها، وثقافتها ودينها، فلم تعد تسمع إلا نداء البطون، ولم تعد تتحرك إلا لمطالب البيت والزيت وهم الرغيف والمسكن، وتحاول الحصول على ذلك بشتى الوسائل والأساليب ولو كان الثمن من عفة الإنسان وشرفه وكرامته.

ودعك من قضية الحلال والحرام فقد تلاشى الإحساس بها، ونُسيت تماماً تحت وطأة الحاجة وضغط الحرمان ... ودبت جرثومة الذل في نفوسهم بعد أن غرست أنيابها وبذورها في ضمائرهم، وسيطرت على قلوبهم فجعلتهم يقبلون العيش وسط مهانة العار ويرضون من الحياة بما ترتضيه القطط والكلاب الضالة من بقايا الموائد في ليالي الشتاء الباردة المظلمة.

وغابت عن حياتهم قيم العزة والعفة وكرامة الإنسان .

وتراجعت عواطف الإيثار والحب ليحل محلها الوصولية والشللية[1] والنفعية، وقد عبر أحد الزجالين عن هذه الحالة بقوله:

شيلني وشيلك .!

وأنا برضه فرحتلك!

وأنا بتاعك يا بيه!

وأقدر ما اقدرش ليه!

وأنفع ما انفعش ليه!

وبسقت أغصان الذل في كل ناحية بعد أن غرست القيم السلبية الجديدة بذور الطمع في كل بيت ، وفي كل مؤسسة وبين كل شخصين .. حتى ولو كانا زوج وزوجة. مما يستدعي تدخلاً بجراحة سريعة، تستأصل هذا الداء، وتقضي على تلك الجراثيم الفتاكة، وتعيد للإنسان توازنه المفقود، وإنسانيته الضائعة، كما

---

(١) مع الاعتذار للقارئ الكريم عن استعمال الألفاظ العامية

تعيد إليه رشده وحرارة الإيمان فيه .

تُرى من يقوم بهذه الجراحة غير علماء الأمة؟

وأين هم من هذا الدور؟

وهل لديهم آليات الخطاب الديني الحي الذي يوقظ في الإنسان شعوره بالمسئولية ودوره في خلافة الأرض وعمارة الحياة.

إنه لدور كبير، يزداد حجمه كلما زادت كثافة الظلمات، ويتحتم وجوده كلما زادت شراسة أطباق الشر، تلك التي تمسك بخناقنا وتنتشر فوق البيوت لتجلب إلينا -بالصوت والصورة- أعتى وأشرس ما صنعته شياطين هوليود، وأحدث ما أنتجته عصابات شيكاغو ..

فمن لهذه الأمة غير العلماء؟

ومن يقود الركب غير العلماء؟

ومن يرفع كفاءة جهاز المناعة لدى الجماهير فيحصِّن الجيل الحالي والأجيال القادمة غير العلماء؟

ومن يعطي المصل الواقي من جراثيم الأيدز الفكري والثقافي والاجتماعي الذي يفد إلينا مرتديا ثوب الحضارة الحديثة، ومتوشحاً بوشاح النظام العالمي الجديد غير العلماء؟

ومن يحذر الأمة من رياح الخماسين التي تهبُّ عليها محملة بجراثيم الوضاعة والمعصية وفقدان المناعة غير العلماء؟

ومن يشير إلى الداء، ويصف الدواء، ويحصن المجتمع من سدنة

الأيدز ورواد ثقافة التطبيع وسلام المتحضرين، ودعاة تسليم كل المفاتيح للاستعمار الجديد الذين يطبلون له، ويزمرون، ويدعون إليه، ويمهدون له الأرض، ويؤهلون النفوس لقبوله واستقبالـه والتأثر به ... والتعايش معه، والتكيف مع أهدافه ومطالبه!

من غير العلماء يقف في وجه هؤلاء؟

من لهذه الأمة يا ترى غير العلماء؟

إنهم عقل الأمة وإرادتها ..

فهل يعود العقل لأداء وظيفته؟

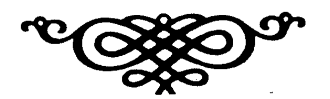
وهل سيبعث مرة أخرى قلم الغزالي وسيف صلاح الدين فيتبدد الليل ويأتي معهما وجه النهار ...؟

خلف هذا الليل فجر ليت هذا الفجر لاح

إن للقدر مفاجآت ..

ونحن في الانتظار .. وعلى أحر من الجمر ..

حتى وإن طال الليل، واشتدت برودته، وطال ظلامه.



رعاية البعد الإنساني كان أحد الأهداف والمقاصد التي دعا الإسلام إليها، ووجه أتباعه والمؤمنين به إلى تحقيقها وحمايتها منذ اللحظة الأولى لنـزول الوحي المعصوم.

فالقرآن الكريم لم ينطلق في دعوته للمعرفة والعلم من عروبة الموقع الجغرافي في مكة المكرمة حيث بدأ الوحي واتصلت السماء بالأرض بعد طول انقطاع.

وإنما انطلق من البعد الإنساني العام ليلفت النظر إلى أنه رسالة عامة للناس جميعاً في أهدافه ومقاصده وما يدعوهم إليه، وليوجه الإنسان في مرحلة التشكيل العقلي والوجداني إلى ضرورة الاستعمال الصحيح للثقافة والعلم، وتوظيفهما لخدمة الإنسانية وحماية الكرامة وتحرير البشر.

وإذا كان الوحي عربي اللسان، والنبي الكريم عربي المولد والجنس، والكعبة المشرفة عربية الموقع، إلا أن مضمون الرسالة العظمى ومحتواها العام إنساني النـزعة والأبعاد والأهداف، ولأنها الرسالة الخاتمة وآخر بيان السماء إلى أهل الأرض فكان لا بد أن تتوجه في مبادئها وأهدافها إلى الإنسانية كلها.

وانطلاقاً من فكرة العموم هذه، أو فكرة الكونية الواسعة ودفعاً

لتوهم العصبيات الضيقة لدى البعض كانت الكلمات الأولى للوحي المعصوم تشير بوضوح إلى ضرورة رعاية الجانب الإنساني في عمومه ودون تخصيص.

والقرآن الكريم وهو يؤسس إطاراً مرجعيا للوعي العام بمفردات الوجود، ويبني في عقل الإنسان قاعدة الانطلاق الثقافية والمعرفية والعلمية، حين يفعل ذلك -يربط الإنسان عموماً- وليس العربي وحده- بمصدر هذا الكون الكبير بكل منظوماته ومفرداته وما تحتويه من عناصر الوجود- يربطه بالله الذي خلق الكون وأبدع الحياة ووزع الملكات .

اَلْإِسْلامُ بَيْنَ سَعَةِ الرَّحْمَةِ .. وَعُمُومِ الرِّسالَةِ

وتحقيقاً للهدف الإنساني أو لفكرة العموم في شيوع الخير تتوجه الدعوة في خطاب القرآن لجنس الإنسان عموماً.

وليس العربي وحده- بصرف النظر عن لونه أو عرقه أو موقعه الجغرافي أو حتى زمانه الذي وجد فيه ليس هو وحده المعنيّ بهذه الرسالة.

إنها دعوة خطابها عام يوجه الجميع إلى التعرف على الله، لا عبر همهمة سحرية تخدر وعي اليقظة أو تسقط من الحساب دور العقل.

ولا عبر أسطورة تذهب به في الوهم بعيداً.
وإنما يربطه بالله عن طريق آيات الإبداع والجمال والروعة في هذا الكون الكبير.
ومن خلال نسيج هذا الخطاب الجمالي العلمي تتولد وحدة فكرية معرفية للنشاط العقلي تكون قاعدتها الأساسية فكرة الكونية الواسعة كما أشرنا من قبل.
وتوظف في سبيل بناء العقيدة الصحيحة كل مصادر المعرفة الداخلية والخارجية في الإنسان فطرة وحساً وعقلاً ووحياً وتستخدم في إقامة الدليل كل مفردات الوجود وعلى مستوى الأبعاد كلها، مرئية وغير مرئية، حسية ومعنوية معاً.

اَلْخِيَاراتُ الثَّقافِيَّةُ

وهنا نجد أنفسنا أمام مدلول جديد للثقافة والمعرفة، وهو مدلول يتميز بالبصيرة والإدراك حيث يربط بين الوسائل والغايات ويجعل للمعرفة والثقافة هدفاً كبيراً وغاية عظمى. فالإنسان في نقطة الانطلاق والإقلاع الثقافي للتعرف على هذا الكون يحتاج حتماً إلى القراءة التي هي أساس المعرفة.
لكن السؤال الملح هو: باسم من يا ترى تبدأ هذه القراءة وتنطلق؟
أتبدأ باسم الأمة... أم تبدأ باسم الشعب... أتبدأ باسم الحزب... أم تبدأ باسم الجنس والموقع واللسان؟.

هنا ومنذ اللحظة الأولى لهبوط الوحي بكتاب المنهج جاءت الكلمات واضحة لا لبس فيها ولا غموض، وطرح لأول مرة خيار ثقافي جديد يتجاوز الحدود الضيقة المحصورة والمحشورة في الجنس والشعب والأرض والأمة.

إنه خيار يرتفع بالإنسان فوق الأرض، ويعلو به، ويسمو فوق الحواجز والحدود.

لذلك جاءت الكلمات واضحة لا لبس فيها ولا غموض، وكان التوجيه صريحاً أن تكون القراءة باسم الله لا باسم أحد آخر...

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ (٢) .

ولعل الباحث هنا يلحظ أمرين هامين:

الأول: أن الإسلام دين معجزته كتاب، وأن الكلمة الأولى فيه إقرأ.

والأمر الثاني: أن القراءة هنا ترتبط بالرب الذي خلق، وهو رب الناس جميعاً وليس رب جنس معين، وهذا التحديد لنقطة البدء ثقافة ومعرفة يحقق مجموعة من المقاصد والأهداف منها:

١- أنه يشكل إطاراً مرجعياً صحيحاً يحمي البشر من دعاوي الاستعلاء التي يمارسها بعضهم على بعض. وكم شقيت الإنسانية وعانت من هذا الاستعلاء الذي يقسم الناس والمجتمعات إلى..

---

(١) سورة العلق ١-٥

سادة وعبيد
وشمال وجنوب
وفقراء وأغنياء
وشعب مختار... وشعوب أخرى عليها أن تكون خادمة لـه وأن تلعق التراب والطين حتى وإن كانت تحمل أفضل القيم وأعلاهـا ... هذا أولاً.

ثانياً: أنه يشكل ضماناً لحرية الكلمة والقلم معاً، فالكلمة لا تُغني لظالم أبداً، ولا تترنم لطاغية ولو بدلت من سعة الأفق قضبـان السجن وضيق المعتقلات.

وإنما تأخذ موقعها وموقفها الطبيعي في نصرة الحق، وإنصاف المظلومين، وتنحاز إلى جانب المقاومة فتحمي الضعفاء، وتكشف الجلادين، وتفضح المهزومين، وتحارب القهر والاستبداد، وتأبى أن ترقص على الجراح في أعراس الضحايا.

كما تزود الجماهير والأمة بزاد من الأمل الجديد فـي الكـرامـة والحرية واستقلال الإرادة وتحرير الأرض والعرض معاً.

كما أن القلم يلتزم بالشرف فلا يكتب تبريراً ولا تحويراً ولا بهتاناً ولا زوراً، ولا يمارس الدور الخسيس في تبرير الـقـهـر وقـلـب الحقائق.

ويرفض أن يتحول إلى أداة طيعة في أيدي تجار الموت وسـراق الأحلام ولصوص الحاضر والمستقبل،

ولا يشيع في الناس والمجتمعات الفاحشة باسم الحرية،

والاستبداد باسم السلامة والأمن الاجتماعي،

والدعارة باسم الفن،

وقهر الشعوب باسم حماية المكتسبات.

وضمن هذا الإطار الملتزم بعفة الكلمة وشرف القلم. تختفي صور النفاق التي تملأ الصحف والمجلات بالمديح الفارغ والدجل الممقوت والتي تتبارى في تسويق الكذب والفكر الضال المنحرف وتتولى تلميع الأغبياء والمنتفعين ليكونوا في مقدمة الصفوف وتؤول إليهم مسئولية أخطر القرارات.

وفي الإطار الملتزم إسلامياً بعفة الكلمة وشرف القلم تختفي كل هذه المهزلة، ولن تكتفي الكلمة والقلم بمجرد الإشارة والرمز والإيغال في الغموض هروباً من مواجهة الواقع وعجزاً عن التحدي والمجابهة، بل تنطلق بوضوح، وتتحدى بصراحة، وتواجه بغير مواربة، وتصرخ بألف لسان، وهي تشير إلى الظالمين وتقلم أظافر الطغاة وتدفع الشعوب إلى الدفاع عن كرامتها وحريتها ومستقبلها.

ولن تتحول الثقافة -كما يحدث الآن- إلى سوق وتاجر وسمسار وبائع ومشترٍ للأفكار الملوثة التي تتعدى بالكلمة والقلم والصوت والصورة على قيم الجمال والحق في هذه الحياة، وتتسلل إلى البيوت والمخادع بأخبث الأساليب وأكثرها دهاء في محاولة لتدمير الأخلاق وسلب الإنسانية وتحويل الإنسان إلى مجرد حيوان لا يبحث إلا عن الطعام والجنس.

وحتى تبقى الفضائل في مأمن من الاجتياح، ويظل الشرف في حماية من الاغتيال، وحتى لا تصادر الحريات ويعتقل القانون ارتبط الحرف في منهج الإسلام باسم الله ليستمر في الحياة مضيئاً ونافعاً ومبدعاً.

وارتبطت الكلمة بالصدق بدءاً ونهاية، ووسيلةً وغايةً حتى تؤدي دورها فتشكّل ضغطاً، وتكوّن رأياً، وتصيغ عقولاً، وتولد اتجاهاً ليساهم في بناء الحياة السوية، فيحمي في المجتمع قيم الطهر والعفة والشرف، ويوسع دوائر الخير في الناس والأشياء.

ولهذا كان للقلم دوره ورسالته... وكان مداده يوزن في ميزان الله بدماء الشهداء حين يصدر عن علم وإخلاص. فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء..

يقول الداعية الفقيه المربي الحسن البصري:

(يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء، فيرجح مداد العلماء).[1]

وحسبك بالقلم فضلاً أن الله أقسم به، وبالسطور المكتوبة التي تصدر عنه، وبالدواة والمحبرة التي تمده بالمداد...

﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[2].

وهكذا تكون المعرفة في خدمة الحقيقة وحماية الإنسان حين تبدأ باسم الله متحررة من روابط العرق واللون، وتستعلي على كل عوامل العصبية الممقوتة لتظل معرفة إنسانية النزعة ربانية المصدر.

ومدلول الإنسان هنا في منظور المنهج الإسلامي مدلول عام وليس خاصاً... إنه عموم الإنسان في كل مكان.

ولم يشأ القرآن الكريم أن يجعل الخطاب قاصراً على الجنس العربي مثلاً، ذلك لأنه يرفض محدودية الرسالة ومحدودية الرسول ويستهدف بالخير الذي يحمله هداية كل البشر في كل أرض وفي كل جيل ومن كل لون وجنس.

فهو على مستوى التاريخ يطوي أبعاد الزمان، ويوحد بين الرسالات، ويجمع كل الأنبياء في عقد واحد، ويطالب أتباعه بالإيمان بهم، وتصديق دعوتهم..

---

(١) مفتاح دار السعادة ص ١٢١.　　(٢) سورة القلم ١-٤

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [1] .

ويجعل شرع السابقين شرعاً للمسلمين ما لم يرد ناسخ..

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [2] .

وعلى مستوى الجغرافيا يطوي أبعاد المكان، ولا يعترف بالحدود المصطنعة، ولا بنقاط التفتيش، ويوجه دعوة الرسول الخاتم إلى كل الناس في كل مكان. ونلاحظ هنا في هذه الرسالة بالذات أن الزمان قد تمدد واتسع، فليست الرسالة قاصرة على زمن محدد. كما أن المكان كذلك قد تمدد واتسع، فهو يتجاوز عصبية اللون والجنس والأعراق.. والأرض..

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [3] .

---

(١) سورة البقرة ٢٨٥.

(٢) سورة الشورى ١٣.

(٣) سورة الاعراف ١٥٨.

﴿ إِنَّ فِي هَـٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (١) .

وإذا كان الإسلام قد نظر إلى العرب على أنهم عقل الإسلام ولسانه -كما يقول شيخنا الإمام محمد الغزالي رحمة الله عليه- إلا أنه قد رفض أن تكون الرسالة قاصرة على الجنس العربي وحده، ومن ثم فقد رفض أيضاً أن يكون الذكاء الإنساني قاصراً على جنس مخصوص. فهناك عطاء لكل جيل، والتراكمات الثقافية والفكرية، ونمو الحركة، وحرية العقل والوجدان لها في التكوين الحضاري إسهام كبير، وتشارك فيها الأجيال والشعوب والأمم. لذلك اعتمد الإسلام التجارب الإنسانية ضمن روافد التكوين الحضاري للأمم والشعوب، ونظر إليها كرصيد ملزم ومؤسس في بناء الحضارات.

واعتبر الإضافة العلمية حقاً لكل جيل وهي تدخل ضمن الروافد الهامة التي لا يجوز للمجتمع أن يحرم منها لأي سبب كان.

وعلم أتباعه والمؤمنين به أن يبحثوا عن الحكمة حيثما كانت، وألا ينغلقوا على أنفسهم أو يتمركزوا حول ذواتهم فقط.

وقبل ذلك وبعده اعترف برسالات السماء كإطار مرجعي لحماية قيم الحق والرشد في الأمم والشعوب بعد أن قبل فكرة الإبداع الإنساني في إثراء الحضارات.

---

(١) سورة الانبياء ١٠٦-١٠٧.

وتأسيساً على هذه القاعدة من الوعي بالتفاعلات المهمة في كل أقطار الأرض توجه خطاب الوحي المعصوم ليقيم العلاقات بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول على أساس من الكرامة وعزة الإنسان.

وهي علاقات تتفاعل مع الآخرين أخذاً وعطاءً وتأثيراً وتأثراً، تدعم جوانب الخير وتقيم العدالة وتنضبط بضوابط الأخلاق – لا بضوابط المصلحة المادية–.

فالمسلم في حياته يعتز بدينه ويفاخر بالانتماء لأمة الإسلام، ولكن هذا الاعتزاز وهذا التفاخر لا ينطلقان من عصبية عمياء في التعامل مع الآخرين ولو كانوا مختلفين معنا في المعتقد.

فكتاب المنهج كإطار أخلاقي وكمصدر مرجعي لتوجهات المسلم وتصوراته وسلوكه يرفض الظلم ويأباه في كل صوره:

مع الصديق المسلم.

أو حتى مع العدو اللدود المخالف لنا في العقيدة والدين.

كما يرفض المحاباة على حساب الحق لقريب أو صديق أو حسيب أو نسيب أو حتى للوالدين والأقربين..

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[1].

---

(١) سورة المائدة ٨

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ (١) .

وهكذا يتحدد في المنهج أن العدل أساس في التعامل.
وأن مبدأ السلام للجميع هو القاعدة الأصلية.
ليس فقط بين الإنسان والإنسان، وإنما بين الإنسان والبيئة وكل مفردات الطبيعة ومنظومة الكون الكبير..

مُفارَقَةٌ بَيْنَ حُقُوقِ الإِنْسانِ .. وَحَقِّ الْحَيَوانِ

وحين يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم على امرأة بأنها من أهل النار فإن العقل يتساءل : ما جريمتها؟
أهي قد أطلقت قنبلة ذرية على منطقة من المناطق حطمت بها المدن وأفنت البشر ودمرت الحياة؟
أهي قد صنعت المقابر الجماعية لعشرات الآلاف من الناس؟
أم أنها ألقت بالقنابل المحرمة فقتلت آلاف الأبرياء ومزقت جثث

---

(١) سورة النساء ١٣٥.

الضحايا من النساء والأطفال والشيوخ، ولم تسلم من تدميرها حتى عربات الإسعاف؟ كما حدث في مذبحة قانا بجنوب لبنان عام ١٩٩٦م.

أفعلت المرأة شيئاً من ذلك حتى يحكم عليها رسول الله ﷺ بأنها من أهل النار؟

ما جريمتها؟ إن جريمتها في دين الله أنها صادرت حرية حيوان وحبسته، فحرمته بهذا الحبس من الطعام والشراب ... فقط حيوان أعجم (قطة).

يقول الرسول ﷺ **«دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش[1] الأرض حتى ماتت»[2].**

تُهْمَةُ الإرْهابِ

هكذا يتقرر في دين الإسلام أن الحق فوق القوة.

وأن العدل فوق الخصومة.

وأن إنسانية الإنسان فوق كل اعتبار.

وأن حماية البيئة وتأمين السلام لمفرداتها حق مكفول في منهج الإسلام لا يجوز العدوان عليه أو حتى تهديده في صورة من الصور ولو كانت مجرد حبس حيوان.

---

(١) خشاش الأرض: الفضلات التي يتغذى بها الحيوان من الأرض.

(٢) صحيح الجامع الصغير المجلد الثاني جـ ٣ ص ١٤٣.

فهل يوصف هذا الدين بعد ذلك بانه مصدر الإرهاب والعنف!

وأنه لا يعترف بالآخرين ولا يقبل بوجودهم في الحياة كما تشيع آلة الإعلام في الغرب دوماً وفي كل مناسبة وبغير مناسبة!

أم أن التهمة ترتد إليهم بحكم شهادة التاريخ واستقراء الـواقـع المفجع في طول الدنيا وعرضها. في فلسطين وفي جنوب لبنـان وفي البوسنة وفي الفلبين وفي بورما وفي كشميـر وفـي آسـام بالهند وفي بحر البقر وفي دير ياسين وفي العراق وغيرها مـن الدول في الماضي والحاضر..

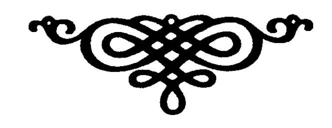
وهذا هو الاعتبار الأول الذي ينفي إشكالية الصراع المحموم فـي دين الله

ويضمن السلام لكل موجود

وينظر إلى الجميع من خلال وحدة المصدر في الخلق والإيجاد

ويرعى في كل مخلوق حق من خلقه..

﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ (١) .



(١) سورة الزمر ٦٢.

أما الاعتبار الثاني: فهو أن الناس جميعاً من أصل واحد وإن اختلفت الشعوب والأجناس، واختلطت بينهم المفاهيم والتصورات، وتضاربت المصالح والغايات... هنا يتحدد من خلال القرآن الكريم كتاب الوجود والخلود أن هذا الصراع غير ذي معنى.

وأن حركة تصحيح الفكر والسلوك يجب أن تتم من خلال الوحدة العقدية والفكرية بين الشعوب والأجناس.

وأن المطامع والمطامح لا بد لها -على الأقل- من سقف أخلاقي لا تتعداه ولا تتحداه كي يعيش العالم في سلام وانسجام.

وإذا بدت بعض المتناقضات في المصالح والغايات، وتطورت أحياناً إلى صراع محموم، فعلى كل الأطراف أن يتذكروا دوماً أنهم خلقوا ليعمروا لا ليدمروا.

وليضيفوا إلى كل جميل جمالاً جديداً في هذا الوجود.

وليساهموا بإبداعهم في عمارة الكون وترقية الحياة وحماية الإنسانية، لا ليخربوا ويدمروا.

ومن هنا وجب عليهم بحكم الأصل الواحد والجوار المشترك أن يتعارفوا ويتعاونوا.

وما لم يتعاونوا ديناً لوجب عليهم أن يتعاونوا نسباً وصهراً..

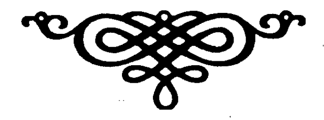
يا أيها الناس... ويلاحظ هنا عمومية الخطاب القرآني في ندائه للبشر...

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (١) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴿١﴾ ﴾ (٢) .

هكذا وبالتحديد ينطلق المسلم في مشاعره تجاه الآخرين بالحب لا بالكره، وبالعدل لا بالظلم، وبالسلام لا بالصراع نحو الإنسان والبيئة وعناصر الكون، ومفردات الوجود أرضاً وسماءً.

إنه دين يتخذ من السلام شارته وعنوانه، ويجعل إشاعة الأمن وتحقيق الطمأنينة ومواجهة الآخرين بالسلام لا بالحرب مدخلاً إليه وتحية يتبادلها المؤمنون به في كل أرض، ليتعودوا أن يكونوا دعاة ورعاة لهذا السلام وحماة له من بطش الآخرين وعدوان الذين يعيشون على امتصاص دماء الشعوب واستلاب حرياتهم..



---

(١) سورة الحجرات ١٣.

(٢) سورة النساء ١.

والسلام المقصود هنا هو سلام يقوم على احترام الحقوق لا على اختراق الآخرين وهضم حقوقهم، واحتلال أرضهم، وفرض إرادة القوي عليهم، وبسط النفوذ، ومد السيطرة، واستلاب السيادة، وتفريغ المجتمع من عقيدته، وقطعه عن تاريخه وتراثه، وخلق بؤر الصراع لتمزيقه دويلات وتحويله إلى قطعان من الحيوانات المتصارعة التي لا هدف لها ولا غاية غير قضاء كل قطيع على الآخر، حتى تضيع الأهداف الكبرى والمصالح العليا للأمة، ويغيب العقل ويحل محله قانون الغاب الذي يستنفذ الجهد والطاقة، ويحرم المجتمع من فرص التنمية والتطور، ويبقيه هكذا يعيش عالة على معونات الآخرين ليستجدي طعامه ودواءه وكساءه.. ويظل في دائرة العجز والتخلف والتبعية، يدور في فلك الأسياد، ويتحرك ويسكن بإشارة منهم، وينفذ كل ما يطلبون، ومن ثم يفرض عليه النمط الغربي في الثقافة والاقتصاد والتقاليد والعادات.

وشيئاً فشيئاً يتنازل هذا المجتمع عن الكثير من مقوماته، ومكوناته، وقسماته، وملامحه، فيتحول إلى مسخ جديد مسلوب الإرادة والعقيدة والشخصية، ليس له لون ولا طعم ولا رائحة ولا حضور ولا تأثير ولا دور.

ثم يعيش الحياة الذليلة هكذا مهمشاً قابعاً يفتقد الرمز والرأس والمرجعية، لأن وسائل التطبيع والاختراق على المستويات كلها قد سلبته كل شيء حيوي في حياته ولم تبق له إلا ما يريده الطرف الآخر.

وتحت شعارات شتى تمارس ضد أمتنا تلك الجريمة، التي ترتدي ثوب السلام وهي تحمل المدفع القاتل، والخنجر المسموم، وأدوات الفتك المدمرة.

بداية بجراثيم الحرب البيولوجية التي تقتل الاحياء وتصحّر الأرض الزراعية وتعمل على تبويرها،

ومروراً بالسلع الغذائية الملوثة بفيروس الأيدز،

وانتهاء بفرض سيادة الطرف الآخر على كل شيء.

كارِثَةُ تَمْزِيقِ الْوَطَنِ .. وَإِعادَةُ فَكِّهِ وَتَرْكِيبِهِ

وتحت دعوى -ثقافة السلام، وسلام الشجعان، وسلام المتحضرين، والشرق أوسطية، والنظام العالمي الجديد- تحت هذه الدعاوى وتلك الشعارات تخترق الأمة، وتموت إرادتها، وتشل عقول أبنائها بفعل التخدير المادي والمعنوي معاً.

ثم تفرغ أهم المواقع من عناصر الرفض والمقاومة التي تعرف بوعيها خطورة المصير المنتظر.

وترى بعينها وعقلها كيف يضيع الحاضر والمستقبل، وكيف تنسج خيوط المؤامرة بإحكام لتحوّل طرفاً إلى سيد مطاع تلبّي كل مطالبه، ويأخذ كل شيء بدايةً بالأرض والثروة وانتهاءً بسلب كل الثوابت ثـم تُحَول كل الأطراف الأخرى إل مجرد عبيد في خدمة السيد الجديد أو في أحسن الأحوال يتحولون إلى عمال وأُجراء للعبقري المحتل.

هذه هي أبعاد المؤامرة التي كانت تدبر في الخفاء ثم أعلنت عن نفسها في وضوح وجلاء.

ودليلنا على ذلك شواهد وشهود كثر نكتفي منهم بأربعة فقط.

١- شاهد من أهلها وهو بنيامين نتن يا هو نفسه رئيس الوزراء الإسرائيلي حيث صرح في أول زيارة له للولايات المتحدة بـعـد نجاح الليكود بأن عدد المستوطنين في الضفة والقطاع ارتفع خلال السنوات الأربع التي أمضاها حزب العمل في الحكم من ٩٦ ألف إلى ١٤٥ ألف شخص.

وقال نتن ياهو إنه لا ينبغي أن يتوقع منا أحد أن نفعل أقل ممـا فعله حزب العمل ولذلك فخطة الحكومة الحالية تستهدف الوصول بالمستوطنين إلى ٢٥٠ ألف هذا العام.[1]

٢- أما الشاهد الثاني فهو دراسـة صـدرت عـن مـلـف الأهـرام الاستراتيجي وجاء فيها:

---

(١) جريدة الحياة اللندنية بتاريخ ١١/٧/١٩٩٦.

«حين تسعى حكومة الليكود إلى تكريس عملية الاستيطان فإنها لا تبتكر شيئاً جديداً لأن هذه العملية لم تتوقف منذ بدء المفاوضات. فبين نهاية عام ١٩٩٢م ونهاية عام ١٩٩٥م استوطن الأراضي الفلسطينية ٢٠٪ من مجموع ما استوطنها في الأعوام الخمسة والعشرين السابقة. وبحسب المصادر الفلسطينية بلغت مساحة الأراضي المصادرة بين توقيع اتفاقية أوسلو في سبتمبر ١٩٩٣م وأكتوبر ١٩٩٤م نحو ٧٠ ألف دونم برغم قرار التجميد المعلن. وظهر أنه جرى تأليف لجنة سرية حكومية هدفها تشجيع الاستيطان في الوقت نفسه الذي بدأت فيه مفاوضات أوسلو السرية.»[١]

٣- أما الشاهد الثالث فهو برنامج حزب الليكود الذي جاء على أساسه بنيامين نتن يا هو إلى الحكم. وهذا البرنامج يقرر ضمن مقرراته الكثيرة أنه:

* «لن يعطي الفلسطينيون أكثر من الحكم الذاتي في إطار الدولة الإسرائيلية، أما الشؤون الخارجية والدفاع والأمن أو المسائل التي تتطلب التنسيق سوف تبقى مسئولية دولة إسرائيل وسوف تعارض الحكومة إقامة أية دولة فلسطينية.»

* «جيش الدفاع الإسرائيلي وقوات الأمن الأخرى ستتمتع بحرية كاملة في كل مكان كلما استدعى الأمر ذلك.

---

(١) ملف الاهرام الاستراتيجي يوليو ١٩٩٦م.

كل هذا بالإضافة إلى الأمور الأخرى التي تصر عليها إسـرائـيـل وتعتبرها من الثوابت التي لن تتخلى عنها أبداً وهي:

* أن القدس عاصمة أبدية لإسرائيل.

* الاحتفاظ بمصادر المياه الحيوية في يهودا والسامرة (الضفة والقطاع).

* السيطرة على بقية مصادر المياه ابتداء من نهر الليطاني ومروراً بالنيل والفرات فيما بعد.»

٤- أما الشاهد الرابع فهو المفكر الفرنسي المعروف (جـارودي) حيث كشف في كتابه (الخرافات المؤسسة للسياسة الصهيونية)[١]. وهو الكتاب الذي أحدث ضجة وهلـعـاً في أوساط الصهيونيـة العالمية لأنه كشف خطتهم وما يخبؤونه للمستقبل العربي، وقدم فيه شهادات دقيقة اعتمدت على مراجع صهيونية كان أخطرها ما نقله عن مجلة تصدر في القدس وتنطق باسم المنظمة الصهيونية العالمية حيث نشرت المجلة دراسة عن الخطط الاستراتـيـجـيـة لإسرائيل ابتداء من الثمانينات وجاء ذلك في عددهـا رقـم (١٤) بتاريخ فبراير/شباط :سنة ١٩٨٢م صفحة ٤٩-٥٠ جاء فيها:

---

(١) «الاساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية» للمفكر الفرنسي روجيه جارودي الطبعة الثانية ترجمة حافظ الجمالي، صباح الجهيم ص ٢٢١.٢٢٠، (الناشر دار عطية، توزيع بيسان للنشر والتوزيع)

(إن مصر باعتبارها جسم مركزي قد أصبحت (جثة) هامدة لا سيما إذا أخذنا في اعتبارنا المواجهة المتزايدة عنفاً بين المسلمين والمسيحيين حيناً وبين المسلمين والسلطة حيناً آخر، وتقسيمها إلى كيانات جغرافية متميزة يجب أن يكون هدفنا في التسعينات.
وعلى الجبهة الغربية بعد تفكيك مصر بهذه الطريقة وحرمانها من أية سلطة مركزية فإن بلاداً مثل ليبيا والسودان وبلداناً أخرى أكثر بعداً ستغرق في نفس التفكك والتحلل، فتشكيل دولة قبطية في صعيد مصر وتكوين هويات صغيرة قليلة الأهمية هما مفتاح نمو تاريخي لآمال إسرائيل وهذا النمو يتأخر حالياً بسبب السلام ولكنه حتمي على المدى البعيد.

ورغم المظاهر فإن الجبهة الغربية لا تحتوي على مشكلات كبيرة مثلما هو الأمر بالنسبة للجبهة الشرقية.

إن تقسيم لبنان إلى خمس كيانات هو مقدمة لما سيحدث على هذه الجبهة.

وأن تفتيت سوريا والعراق إلى أقاليم يمكن تحديدها على أساس معايير عرقية أو دينية يجب أن يكون -في المدى الطويل- هدفاً له الأولوية بالنسبة لإسرائيل.

وأول مرحلة للوصول إلى هذا الهدف هو تدمير القوة العسكرية لهذه الدول.

ثم تقول المجلة:

إن البنيات العرقية لسوريا تساعدنا على تفكيك أوصالها بما يمكن أن يؤدي إلى إنشاء دولة شيعية على امتداد الساحل.

ودولة سنية في منطقة حلب.

ودولة أخرى في دمشق.

وهوية درزية يكون باستطاعتها أن تأمل في تكوين دولتها الخاصة بها. وقد يكون ذلك (جولاننا).

ومن المؤكد في حوران وشمال الأردن ومن ثم منطقة الخليج والجزيرة العربية كلها أن تشهد هذا التفكك بفعل الاختراق الإسرائيلي لهذه المناطق وأن تسيطر الدولة العبرية على كل منابع النفط هناك.

وهذا هدف في متناولنا اليوم ولكننا نرجئ تنفيذه للوقت المناسب.

وتختم المجلة إعلان خطة الصهاينة وإسرائيل بقولها:

إن العراق الغني بنفطه والذي يتعرض لصراعات داخلية يقع في مجال التصويب الإسرائيلي وتفكيكه أهم الآن بالنسبة لنا من تفكيك سوريا لأنه هو الذي يمثل في المدى القصير أخطر تهديد على إسرائيل.[1]

---

(١) كيفونيم. القدس تاريخ ١٤ شباط ١٩٨٢ من صفحة ٤٩ إلى ٩ انظر المرجع السابق صـ٢٢١ لجارودي وانظر النص الكامل بأصله العبري في كتاب فلسطين أرض الرسالات الإلهية لروجيه جارودي طبعة البانزوس باريس عام ١٩٨٦م صـ٣٧٧ إلى صـ ٣٨٧ وترجمته إلى الفرنسية بدء من صـ ٣١٥ نفس المرجع.

ولقد بدأ العمل على قدم وساق لتنفيذ الخطة فها هي قدرة العراق قد دمرت مرتين...!

مرة في حرب الخليج الأولى بين العراق وإيران.

ومرة في حرب الخليج الثانية بين العراق من جهة والكويت ودول التحالف من جهة أخرى.

وهو الآن يعيش تحت الحصار -حصار الجوع والحرمان- ويريد تقديم النفط فقط مقابل الغذاء غير أن راعي السلام والأم الحانية لإسرائيل تأبى عليه ذلك، ولا ترضى منه بأقل من التمزيق والتقسيم كما تقضي الخطة الإسرائيلية، والعالم يقف متفرجاً على هذه الكارثة.

أما العرب فهم يقفون بين منتظر ومساهم في تنفيذ المطلوب.

فعلى من يا ترى سيكون دور التقسيم القادم؟

ومن يا ترى سيكون الضحية التي ستجري عليها سكين الجزار في المذبحة القادمة؟... هذا بالنسبة للعراق.

أما بالنسبة للمستوطنات فقد اتخذت إسرائيل قرارها بإزالة كل العوائق، وإلغاء كل القوانين المقيدة للاستيطان، وأصبح من حق أي إسرائيلي أن يعيش في أي مكان -آمناً مطمئناً- وعلى كل الأطراف تحت دعوى-سلام المتحضرين - أن تضمن له الأمن

والحماية ، وعلى كل الأنظمة العربية أن تتحول إلى مجرد شرطي حراسة للسيد المواطن الإسرائيلي حيثما حل وشرف؟؟

وفي سبيل الخضوع لهذا الأمر وتنفيذه بدقة يُلَوِّحُ للعرب بالتهديد والإهانة حيناً، وبالتطمين والتخدير ودعوتهم إلى الصبر والتريث وعدم التسرع في تفسير التصريحات الإسرائيلية حيناً آخر، خاصةً إذا أحسوا بالخطر، وتحرك فيهم دافع الغريزة في حماية النفس والدفاع عن الكرامة وهمُّوا بالاجتماع، واتجهوا إلى وحدة الصف- ولو بمجرد قرار مكون من مجرد كلمات- في مؤتمر يتيم.

مَوالِى .. وَعَبِيدُ الْبَلاطِ الْجَدِيدِ .. فِى دَوْلَةِ الْهَيْكَلِ

وهكذا نعيش سلام التفكيك والتمزق والذوبان، وتنسج خيوط المؤامرة بإحكام لتحول العرب جميعاً -شعوباً وأنظمة- إلى مجرد موالي وعبيد يخدمون الطرف الإسرائيلي ويلبون احتياجاته ويقفون -كحراس ملتزمين ومنضبطين- ينتظرون أمره، ويترقبون إشارة منه.

وتتحول كل الأنظمة العربية إلى مجرد جندي حراسة الشخصية الإسرائيلية في أي مكان.

ثم تتحول الشعوب إلى مجرد عمال ومجرد أسواق للمنتجات والأيدي العاملة الرخيصة.

خُفَراءُ الْخَزِينَةِ

أما ثروات العرب فتتحول إلى ملكية الآخر، وتبقى أرضهم مجرد مخازن ومستودعات للنفط عليهم أن يحرسوها.. فهم حراس فقط وليسوا وكلاء للسيد الجديد.

ومن ثم فليس لهم حق التصرف إلا بإذنه وبعد الحصول على الضوء الأخضر، أو بعد الحصول على إذن صريح، لأنهم فقط مجرد خفراء للخزينة.. هكذا سنعيش السلام الجديد تحت تلك المصطلحات الخبيثة، وعلى الأيدي المباركة للسيد الكبير راعي السلام -لا رعاه الله-.

وإذا حذَّرتَ، ونبَّهتَ، ونصحت، وبدت عليك ملامح الوعي بخطورة الموقف فالويل لك... لأن الأمة نائمة وملعون من أيقظها أو عمل على خلاصها من غيبوبتها.

إنك إن فعلت ستتهم بكراهية السيد الجديد، وستحاصر من كل اتجاه، وستحارب حتى في لقمة الخبز، وربما تتهم بالتطرف والإرهاب، فكل شيء جاهز، وكل شيء جائز.

وترزية قوانين الطوارئ جاهزون لتفصيل القضايا وبالمقاسات المناسبة.

فهل نتماسك ونظل رجالاً..؟
هل سيبقى المثقفون الشرفاء أوفياء لبلادهم وأوطانهم وشعوبهم؟
وهل ستظل سمعتنا وشرفنا أغلى لدينا من حياتنا؟
وهل تبقى الرجولة العربية على عهدها بالفروسية التي تموت مقبلة غير مدبرة ولو بغير سلاح؟
هل يظل الشرف العربي تاجاً فوق الرؤوس لا نفرط فيه ولا نخون ولا نبيع؟
وهل يظل الوعي العربي بين الجماهير -بفضل المثقفين- متقداً لا يستسلم ولا يفرط في حبة رمل واحدة من تراب بلاده؟
أم أن الشعلة ستخبو؟
والعقل سيخدر؟ والرجال سيتنازلون عن رجولتهم؟
والمثقفون -تحت الضغط- هل سيتركون مواقعهم ويغيرون مواقفهم وينضمون إلى جوقة التطبيل والزمر ممن يقودون المسيرات، ويتصدرون الهتافات، ويبيعون مظاهرات التأييد لمن يرغب؟
هل تظل الثقافة العربية رافداً في تشكيل العقل العربي؟
أم أنها ستتوارى وتتلاشى لتحل محلها ثقافة التطبيع وثقافة السلام، وسلام المتحضرين ويتولى العم (سام) نيابة عنا تربية الأجيال القادمة وصياغة عقولها وفق ما يرى ويريد؟

وهل المثقفون العرب سيعرضون أنفسهم في كل سوق؟
وهل سيتخلون عن هويتهم في أول صدام وتحت أول ضغط؟
وهل يبيعون أقلامهم في أول مساومة ولأعلى مزاد؟
وهل ستتحول الثقافة إلى سلعة وتاجر وسمسار يشتريها من يدفع الثمن؟

وهل نقف أمام الملهاة والمأساة متفرجين ونسلم مصيرنا -كقطيع الأغنام- إلى سكين الجزار حتى قبل أن تجري على عنق الضحية؟
أم أننا سنرفض ونقاوم استجابة لتقاليد الكرامة العربية والفروسية..؟
وحماية لهويتنا العربية وديننا وحاضرنا ومستقبلنا؟
إن الحاضر والمستقبل يحتمان علينا أن نأخذ الموقف الإيجابي وأن نرفض ونقاوم.
كما أن إسلامنا -إزاء هذا الموقف- لا يكتفي بمجرد الرفض فقط، وإنما يعتبر القبول بالكفر كفراً، وبالذل ذلاً، ويحتم على أتباعه أن يقاوموا، ولو إلى الرمق الأخير، فخير لهم أن يموتوا شرفاء واقفين ليكونوا عند الله شهداء، من أن يعيشوا أذناباً وموالي لأعداء الله في الأرض.

كما أن الإسلام يـعـلِّم الإنسان المسلم أن كل بقـعـة مـن الأرض الإسلامية هي وطنه وعرضه وشرفه زارها أو لم يزرهـا؛ ذهـب إليها أو لم يذهب؛ تعرف على أحد منها أو لم يتعرف؛
المهم أنها جزء من نسيج وطنه؛ بل جزء من نسيجـه هـو؛ ومـن لحمته الحضارية؛ فهي كما -قلت: شرفه وعرضه-
والتفريط فيها جريمة لا تغتفر
وإثم لا كفارة له. وخيانة توصم صاحبها بالعار إلى الأبد.
والدفاع عنها بكل الوسائل المتاحة حق مقدس... هـو فـي نـظـر الإسلام أعلى وأغلى من الحياة نفسها.
ذلك هو موقف الإسلام وموقف المسلم من السلام الحقيقي.
وهذا هو سر الخوف من الإسلام في دوائر الغرب لأنـه يـفـرض الجهاد ويرفض المذلة والمهانة ويأبى كل أشكال السيطرة والهيمنة واستغلال الشعوب.
أما سلب الإرادة؛ والسيطرة على مقدرات الأمة؛ وتفريغـهـا مـن محتواها فذلك هو الاحتلال بعينه؛ وإن توشح بوشاح الـسـلام، ومهما قيل عنه وقيل فيه من قصائد المدح الرخيص، ومهما وضعت له من عناوين مزوقة ومـزورة كـسـلام الـشـجـعـان، وسـلام المتحضرين، وثقافة السلام وغير ذلك.

اَلطُّهْرُ .. والْجَمالُ

إذا كان السلام شعار الإسلام وتحية أبنائه في الابتداء والانتهاء في كل مكان فإن الطهر والجمال شرطان في كل عبادة، طهر الظاهر والباطن، وجمال الإنسان والبيئة، بيتاً وشارعاً ومسجداً ومدينةً وأرضاً وبراً وبحراً وفضاءً.

ولا ينسى هذا المنهج حين يحدد أولويات المسلم في الحياة فيجعل الشهادة لله بالوحدانية قمة القمم في حياة المسلم، يرتبط بها بداية وينطلق منها فكراً ووجداناً قولاً وفعلاً، فإنه أيضاً لا ينسى أن يجعل من نظافة الشارع، وحماية البيئة، شعبة من شعب الإيمان لا يكتمل إيمان المرء إلا بها، ولا يتحقق إذا أهملت أو تجاوزها الفرد والمجتمع...

«الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة, فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان».[1]

وبهذه الشمولية الواسعة يتحرك المسلم في ساحات الحياة وهو يحمل فكراً يعمر ولا يدمر.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١ ص٦.

ويبني ولا يخرب.
ويضيف ولا ينتقص.
ويسمو ولا يتدنى أو يهبط.
ويرتفع فوق الضغائن ولا يسقط أو يسف.
ويحمي قيم العدل والحب والخير ولا يتجاوز بعدوان أو طغيان.
إنه عنصر مشع ينظر إلى الأشياء والقيم ويرى مُشَيِّئها أولاً.
ويتعامل مع الكون والوجود بسلام وهو يـرعـى وجـه المُكَوِّن والموجد في كل شيء، ويرى في الوجود والكون نعمة كبـرى... لكنه لا ينسى من سخر له هذا الوجود والكون وأنعم عليه.
ويوقن في حسه وضميره أنه مؤاخذ بكل ما كسبت يداه، وأنه مجـازئ بالسوء سـوءاً وبالإحسان إحسانـاً، لذلك تعمـل جوارحه وملكاته كلها في انسجام واتفاق وهي تلتزم بإطار من الأخلاق الفاضلة توجب عليه المسئولية في السمع والبصر والفؤاد، وتجعل صاحبها محل العقاب والمؤاخذة إذا أساء أو تعدى.
وتطالب المسلم أن يبني أحكامه على الحقائق والعلم لا على الظنون والأوهام، وأن يملأ الحياة بالنشاط والحركة المثمرة وأن لا يدع حصيلة تجاربه في خدمة الشر أو في يد الشيطان.
﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴿٣٦﴾﴾ [١] .

---

(١) سورة الإسراء ٣٦.

كما تجعله أهلاً للرضوان الأعلى والنصر والتاييد إذا أصلح وأحسن وأبدع..

دِقَّةُ الْمَوازِينِ .. وامْتِدادُ الزَّمانِ

تلك رؤية للجزاء تتجاوز حدود الحياة الدنيا والزمن المحدود فيها لتدخل بالإنسان وتمتد إلى زمن الخلود.

وهذه الرؤية في الجزاء لا يضيع في ميزانها شيء، وتتناول بالتاثيم والتجريم كل فعل قبيح يصدر من البشر مهما كان صغيراً لتحد بهذا التناول من طغيان الإنسان، وسعار الشهوات، وتحمي الحياة في كل صورها من التعدي والتجاوز والظلم والعدوان.

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ ﴾ (١) .

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (٢) .

﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الزلزلة ٧.　　(٢) سورة الانبياء ٤٧.

(٣) سورة الكهف ٤٩.

﴿ هَـٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [(1)] .

كما يتناول بالتقدير والتكريم ومضاعفة الجزاء كل فعل جميل في هذا الوجود...

﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [(2)] .

ولا يتوقف الجمال في تلك الرؤية عند حدود الظواهر فقط وإنما يشمل المعاني والقيم التي تؤثر في حركة النشاط الإنساني نمواً وتطوراً وتيسر له سبل الحياة وتجعل الحركة الإيجابية والقيمة الجميلة في مأمن من الاجتياح أو الاغتيال .
إنها رؤية تنبع من طبيعة الإسلام ونظرته للقيم والأشياء الجميلة. كما تحدد علاقة المسلم بهذه القيم عن طريق الإيجاب لا السلب. فتغرس في حسه ووجدانه روح المحبة لكل ما حوله في الوجود. لأن كل الموجودات تشاركه في وحدة المصدر ووحدة البدء والمنتهى، فهي تبادله وداً بود، وحباً بحب.

---

(١) سورة الجاثية ٢٩.

(٢) سورة غافر ٤٠.

كما تجعل منه جندياً وحارساً لحماية هذه القيم، فهو لا يكتفي بحمايتها في نفسه فقط فلا يفرط فيها أو يتعدى عليها، وإنما لا يسمح للآخرين بالتفريط فيها أو التعدي عليها.

وهذا ما يعرف في منهج الإسلام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

تَكَامُلُ الْقِيَمِ الْمَادِّيَّةِ.. والْمَعْنَوِيَّةِ فِى حِسِّ الْمُسْلِمِ

وتتسع رؤية المسلم لجوانب الجمال وحدوده فتتناول الحسيات والمعنويات من أجناس الوجود، ولا تتوقف عند الجمال الحسي المحدود بحدود الإدراك أو بحدود البيئة فقط.. فهو:

يرى في الزهرة جمالاً ينبغي ألا يُدمَّر

ويرى في القيم جمالاً ينبغي ألا يُباع

ويرى في الحرية جمالاً ينبغي ألا يُصادر

ويرى في العدل جمالاً ينبغي ألا يُغَيَّب

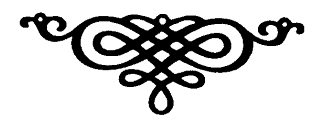
ويرى في العزة جمالاً ينبغي ألا يُهان

ويرى في المساواة جمالاً ينبغي ألا يُعكر

---

(١) سورة مريم ٩٦.

ويرى في الأخوة جمالاً ينبغي ألا يَزول
ويرى في الاستقامة جمالاً ينبغي ألا يُلوث
ويرى في الشرف جمالاً ينبغي ألا يُهدد أو يُستباح
ويرى في الكرامة جمالاً ينبغي ألا يُسلب
ويرى في العمل الجاد جمالاً ينبغي ألا يُحقر
ويرى في الإبداع البشري جمالاً ينبغي ألا يُبدد
ويرى في إعمار الكون وترقية الحياة جمالاً ينبغي ألا يُهمل
ويرى في الإنجاز العلمي جمالاً ينبغي ألا يُنسى
ويرى في الأداء العالي جمالاً ينبغي ألا يَضيع
ويرى في الإنسانية جمالاً ينبغي ألا يُذَل
ويرى في الطفولة جمالاً ينبغي ألا يُرَوَّع أو يُفزَّع
ويرى في حماية الدماء والأموال والأعراض جمالاً ينبغي ألا يُراق
وهكذا تتسع هذه الرؤية لتحمي قيم الجمال في كل شيء، وتشيع روحه في كل جانب، وتحض عليه في كل عمل، وتدفع الإنسان إلى حمايته في كل عناصر البيئة ومفردات الوجود ومنظومة القيم...



وهذه الرؤية الواسعة لعناصر الجمال في الأشياء والقيم تساعد حتماً على اختفاء بواعث العداوات، وتقتلع بذور وجذور الكراهية، وتعمل على انحسار تيار الشر، وتبني العلاقات بين المسلم والناس جميعاً بل بين المسلم وكل عناصر الكون على أساس من التعاطف والتعاون والرحمة...

فهل يستقيم البشر في حياتهم ويتفقون مع المسلم في رؤيته ورؤاه بأبعادها الإنسانية الكاملة الشاملة؟

ذلك حلم نتطلع إليه ونعمل له وندعو الآخرين إلى العمل من أجله.

لكن غرائز الوحوش تسيطر على كثير من البشر أحياناً، وتفعم قلوبهم ومشاعرهم بدوافع الكراهية والعدوان، وتدفعهم في كثير من المواقع والميادين إلى الطمع والسيطرة، وبسط النفوذ، وإلى العدوان الشرس الذي يقطع الأواصر ولا يرى حرمة للدماء أو الأموال أو الأعراض، ويجتاح الشعوب والأمم، ولا يلتزم في شراسته وعدوانه بقيم أو أخلاق.

لذا فإن القرآن الكريم كمحتوي للحضارات لم يرفض فكرة الصراع في مواجهة هذا العدوان الغاشم غير المبرر حماية للإنسان والبيئة وقيم الجمال والحق في هذا الوجود.

وهو في الوقت نفسه لم يقبل فكرة الصراع كغاية في ذاتها، وإنما اعترف بها كوسيلة لغاية عظمى هي القضاء على الفساد، وتحقيق السلام للجميع، وحماية الضعفاء من شراسة العدوان الذي لا يعرف غير القضم والهضم.

اَلصِّراعات : إِسْتِثْنَاءٌ طارِئٌ .. وَلَيْسَتْ أَصْلاً وَقاعِدَةً

وإذا كانت بعض الفلسفات قد نظرت إلى الصراع كقاعدة وقانون لهذا الوجود، فإن الإسلام قد اعتبر السلام هو القاعدة في التعامل مع الآخرين... لكنه في نفس الوقت نظر إلى الصراع كاستثناء طارئ، ووجهه إلى أن يكون وسيلة لحماية الجق بقانون التدافع بين أجزاء الوجود لا يستعمل إلا في مواجهة الاجتياح الظالم الذي يفسد البلاد والعباد، ويحول الحضارات إلى كيانات هامدة مثخنة بالجراحات والآلام، كما يحول عمران الحياة إلى خراب ويباب.[1]

﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [2] .

---

(١) اليباب هو الدمار. (٢) سورة الحج ٤٠.

﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ [1] .

فالحرب في منظور الإسلام ليست إلا استثناء لا يُلجأ إليه إلا عند الضرورة والاضطرار.

بينما السلام للجميع هو الأصل،وهو القاعدة في العلاقات بين الشعوب والأمم.

ومن هنا كان نداء القرآن لكل المؤمنين بالله في هذا الكون أن يدخلوا في السلم كافة، وألا يسلكوا مسالك الشيطان في الدس والوقيعة بين الأشقاء، وخلق بؤر الصراع وإشعال الحروب وإيقاظ الفتن.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ [2] .

وبالطبع هو سلام يقوم على إدراك الحقائق واحترام الحقوق، لا على فرض الإرادة والهيمنة وبسط النفوذ واستغلال الشعوب كما أشرنا من قبل.

لذلك قامت وتأسست دولة الإسلام على هذه المنطلقات باعتبارها

---

(١) سورة البقرة ٢٥١.

(٢) سورة البقرة ٢٠٨.

ركائز أساسية في التعامل مع الإنسان، بصرف النظر عن جنسه أو لونه أو بيئته.

الإسلام اعتمد العقل ليحاور

والقرآن الكريم في خطابه للآخرين لم يعتمد القوة ليعيش، وإنما اعتمد العقل ليحاور، كما اعتمد الحرية كأساس في اتخاذ أخطر القرارات المتصلة بمصير الإنسان ومنتهاه...

﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (١) .

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (٢) .

وإزاء هذا المدى الواسع من الاعتراف بالآخر، واحترام المسلم لحرية الآخر في اختيار الهدف والمصير، كان يجب على الآخر احترام حرية المسلم في اختيار عقيدته، وكذلك احترام الحقائق التي تحملها هذه الرسالة وحمايتها من التشويش والتشويه والوقوف منها على الأقل موقف الحياد...

لكن الذي حدث عكس ذلك تماماً... فالآلة الإعلامية في الغرب تصب سيلاً من الاتهامات ضد الإسلام والمسلمين في كل لحظة من الليل أو النهار.

وتشجع المؤسسات هناك كل المارقين على اغتيال تلك الحقائق.

---

(١) سورة البقرة ٢٥٦.

(٢) سورة الكهف ٢٩.

ويستضيف الغرب في دياره كل من حاول النيل من هذا الـديـن، وتعرض له بالتجريح والسب، وهؤلاء يمنحهم الغرب الجوائـز والأوسمة، ويفتح لهم كل باب...

وهذا التصرف غير المبرر -اللهم إلا بدوافع الكراهية الـفـكـريـة المزمنة- يستلزم من المسلمين أن يكون لهم حضور إعلامي عالمي في مجال القنوات الفضائية والإنترنيت وما يستجد من وسائـل الاتصال ونقل المعلومات كي يحموا قيمهم ويوضحوا الحقائـق، ويدفعوا التهم ويردوا عن دين الله وعن المسلمين تهمة الشراسة والعدوان.

مَسْئُولِيَّتُنا .. أَمامَ الأَخْطارِ

ذلك يتطلب منا أن نتجاوز في خطابنا مرحلة المراهقة الجنسيـة التي يفرضها علينا إعلامنا في كل لحظة من الليل أو النهار، وأن نتذكر أن لنا بين الأمم رسالة وعلينا مهمة البلاغ المبين عن الله، وسنسأل عنها... وأننا ورثة الحقائق الكبرى في هذا الكون، وورثة الرسالة العظمى في هذا الوجود...

وأن خصائص الذكورة والأنوثة التي يركز عليها إعلامنا، ويثيرها فينا، ويمحور نشاطه حولها في كل عمل ليست هي الميراث الوحيد عن الأب والأم آدم وحواء...

وإنما هنالك خصائص أخرى عُليا في هذا الإنسان يجب أن يُنبَّه

إليها دوماً، وأن يتذكرها دائماً كي يؤدي دوره ورسالته في هذه الحياة..

وعلينا أن نذكره دائماً بأن هذه الخصائص هي سر تكريمه وأساس عظمته، وبغيرها لن يكون له حضور أو تأثير.

وإذا فقدها فلن تكون له في الدنيا كرامة ولن تتم له أبداً عملية الإقلاع الحضاري المنشود.

ولن تتحقق له أبعاد التغيير إلى الصواب والرشد طالما ظل في مصاف الحيوان لا يتذكر من اهتماماته غير الطعام والجنس.

﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴿٤٤﴾ ﴾ (٢) .

وإذا كان من حق المسلم أن يفاخر بالانتماء لأمة الإسلام دون عصبية فإننا كعرب قد شرفنا الله بأن جعل لغتنا مستودعاً لوحيه العظيم...

وجعل الرسول الكريم الخاتم عربي اللسان والمولد...

وجعل محور توجهات المسلمين في كل أرض أثناء كل صلاة إلى هذه الكعبة عربية الموقع والمكان...

---

(١) سورة الفرقان ٤٣.

إذا كنا قد نلنا هذا الشرف فإنه في الوقت نفسه يرتبط بتكليف هام هو البلاغ عن الله، وكان اللغة والكعبة والرسول والوحي المعصوم هي المؤهلات الأساسية التي ارتبطت بها رسالة المسلمين في الكون.

فإذا أضفنا إليها كل الوسائل المادية والآليات التي تساعدهم على أداء هذه الرسالة، فإننا سنجد في مقدمتها الثروة الهائلة بشتى أنواعها في كل بلاد المسلمين.

والغريب العجيب الذي لم نلتفت إليه أن الله جعل حاجة العالم المتقدم إلى هذه الخيرات المدفونة في بلاد المسلمين كحاجتهم إلى الماء والهواء، لا من أجل سواد عيون المسلمين طبعاً.

وإنما من أجل استثمار هذه الثروة لخدمة رسالتهم، وتبليغ دعوة الله إلى الناس جميعاً، وتوظيف كل الإمكانيات العلمية الحديثة لأداء هذه الرسالة...لكن الذي حدث عكس ذلك تماماً فقد تولى قيادة التوجيه وصياغة العقول والقلوب وتكوين الرأي العام، أناس هم في الأصل والأساس تلاميذ أوفياء لمدرسة شيكاغو وهوليود ولا يعرفون شيئاً في الإنسان إلا غريزة الحيوان فقط. وتقييم الإنسان في نظرهم يتم من خلال نصفه الأسفل .. أي من تحت الحزام عادة.

وبالتالي فهؤلاء مكانهم الأصلي ليس توجيه الرأي العام وصياغة العقول، وإنما يجب إدخالهم في مصحات نفسية وأخلاقية، تعلمهم أن للناس قيماً وأخلاقاً، وأن في الإنسان شيئاً آخر غير غريزة الحيوان التي دأبوا على إثارتها بمناسبة وبغير مناسبة. فهل فعلنا كل ذلك... أو فعلنا شيئاً قريباً منه؟

إن الإجابة بالسلب لا بالإيجاب...

فقد وظفت الثروات لإشعال الشهوات، واستغلت الإمكانيات الإعلامية المتاحة في مزيد من إثارة غريزة الحيوان في الإنسان.

مَسْئُولِيَّتُنا .. تُجاهَ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ

ولا ندري ماذا سنقول نحن العرب لله إذا جمعنا والآخرين وسألهم...

لماذا لم تؤمنوا بي؟

ولِمَ لَم تعرفوني؟...

فيقولون لله... لم يُعَرِّفنا أحد بك ولقد عرفناك ولكن بشكل منحرف، ولم يصحح أحد لنا هذه المعرفة... والأمة التي اختارت كتابك بلغتها، ونبيك من جنسها، والكعبة في بلادها لم تقم بواجب البلاغ عنك، بل لم تطبق منهجك أصلاً حتى نراه مجسداً في حياتها. لقد انصرفت إلى ما قدمناه لها من لهو وعبث، ولم تنقل عنا في

الحياة الدنيا إلا كل رديء مبتذل، ولم تحاول أن تقول لنا في الإسلام قولاً بليغاً، فمن أين نعرفك يا ربنا وقد تخلى هؤلاء عن رسالتك، ولم يعيشوا حياتهم لك، وإنما عاشوا لأنفسهم واتبعوا أهواءهم...

اَلْعَرَبُ .. بَيْنَ الْحِوارِ الْمُرِّ..

وَالْمَوْقِفِ الْمُخْجِلِ!

تُرى أيها القارئ الفاضل... أيؤاخذ هؤلاء؟ أم يتوجه الرب الكريم إلى جموع المسلمين ويطرح عليهم نفس السؤال...

لماذا لم تبلِّغوا عني؟

لماذا لم تُعَرِّفوا بي؟

لماذا لم تصححوا ما شاع عن ديني من أفكار خاطئة؟

لقد أعطيتكم كل شيء، الرسالة والرسول والكعبة والمال والنفط والموقع... وجعلت شرفكم منوطاً بالأداء لهذه الرسالة، وربطت مصالح الآخرين بالخير الذي أودعته في بلادكم، والثروة التي حملتها الأرض في باطنها تحت أيديكم، فلماذا خنتم عهدي؟ وتخليتم عن ديني؟ وأبيتم تبليغ رسالتي؟

لماذا تحدثتم عن كل شيء وفي كل شيء إلا البلاغ عني، وهداية الناس إلى ديني....!

لقد انتصرتم لأنفسكم، ولم تتحرك فيكم نخوة عندما انتهكت

حرماتي، ونقلتم إلى الدنيا عبر الأقمار الصناعية والقنوات الفضائية مباريات كرة القدم، وكرة السلة، وكرة اليد، وكرة الماء، وكرة المضرب، ومسابقات السيارات والخيل والقوارب الشراعية وغير الشراعية. ومسابقات الجمال، وشغلتم الناس بأزمة الأغنية وأزمة الكلمة وأزمة اللحن وأزمة المسرح والسينما.

ولم تتحدثوا عن أزمة الضمائر والخلق التي نشأت أصلاً من أزمة العقائد الفاسدة التي سادت على الأرض وخيمت بظلالها السود على كل شيء.

تحدثتم عن مصالحكم المادية ولم تتذكروا هذا المنهج الذي فيه شرفكم المادي والمعنوي وعزكم في الدنيا والآخرة والذي ارتبط بهذا الكتاب...ونسيتم قولي لكم:

﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (١) .

﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (٢) .

وقدمتم فروض الولاء والطاعة لأعدائي، ولم تهتموا بطاعتي، ولا بما أوجبته عليكم من فرائض.

وهرولتم نحو أخس الخلق طراً وبذلتم عند أقدامهم الكرامة والشرف، ولم تغبروا أقدامكم بالسعي إلى بيوتي في الأرض.

---

(١) سورة الزخرف ٤٤.

(٢) سورة الأنبياء ١٠.

وصدرت إليكم الأوامر من أعدائي بمطاردة الدعاة والناشطين والمتحمسين، فلبيتم ومارستم ضدهم كل ألوان التهديد والقهر والطرد والإذلال.

وذراً للرماد في العيون قدمتم برامج دينية ميتة أو شبه ميتة، كان المقصود منها صرف الناس عن الدين أكثر من جذبهم إليه، ولم تستغرق هذه البرامج من حجم ما يقدم سوى ٢٪ مخافة غضب العدو الذي عبدتموه من دوني حتى لا تتهموا في نظره بتشجيع التطرف والإرهاب.

وفي دروس التفسير التي قدمتم عبر قنواتكم حذفتم الآيات المتصلة بأعدائي حتى لا تغضبوهم..... ورضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ولم تتطلع طموحاتكم إلى ما لدي من نعيم مقيم.. وانطبق عليكم ما نزل إليكم في القرآن الكريم..

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (١) .

ترى... ماذا ستكون الإجابة؟

وكيف ينتهي هذا الموقف المخجل؟

وهل نسارع بالخروج منه بدلاً من التمادي فيه؟

---

(١) سورة يونس ٨،٧.

أم سنظل ندفن رؤوسنا في الأرض كالنعام، ونتغاضى عن الكارثة وسوء المصير الذي ينتظرنا هنا وهناك إذا ظلت الأوضاع على ما هي عليه؟

وهل ستبقى هذه النعم تحت أيدينا بعد هذا الإصرار على التفريط والتخلي؟

أم أن القدر سيتدخل ويقول كلمته ويحسم الأمر؟

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (١).

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (٢).

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ (٣).

فهل لهذا التحذير من مجيب؟ أم أنه سيكون صرخة في وادٍ وينتهي الأمر؟....!

إن الأمر لن ينتهي أبداً، وزمن الخلود في الدار الآخرة ليس له نهاية، فهو إما نعيم دائم أو جحيم دائم.

---

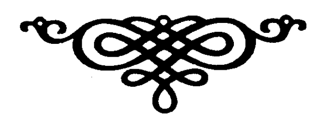
(١) سورة الأنفال ٥٣.

(٢) سورة الرعد ١١.

(٣) سورة يونس ١٣، ١٤.

ثم إن قانون الاستبدال يعمل عمله كسنة كونية تجري على الصغير والكبير لا يُستثنى منها جنس من البشر كما لا تحابي من الخلق أحداً.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [1] .



(١) سورة المائدة ٥٤.

اَلْبُعْدُ الثَّالِثُ .. أَوْ فِقْدانُ الصَّلاحِيَةِ

البعد الثالث مصطلح جديد قديم، فبجانب البعدين المعروفين —التقدم والتخلف– اكتشف عالم مصري هو المرحوم الدكتور جمال حمدان (أستاذ الجغرافيا وخبير المجتمعات وعلم السكان) ما يسمى بالبعد الثالث، فالأمور لا تتوقف عند مجرد التقدم والتخلف فقط، وإنما ظهر بعد ثالث هو السقوط إلى الهاوية– فالأمم التي تتخلف باستمرار لن تبقى طويلاً وإنما تنتهي صلاحيتها كما تنتهي صلاحية المعلبات، فتكون النتيجة أن يقذف بها بعيداً حتى لا تسمم أحداً أو تفسد البيئة المحيطة بها، وهكذا الأمم إما أن تتقدم وإما أن تسقط في الهاوية.

وهذا المصطلح الذي أشار إليه الدكتور جمال حمدان في كتابه **(شخصية مصر)** هو مصطلح قرآني أصلاً وهو ما يسمى بقانون الاستبدال الذي تشير إليه الآية الكريمة:

﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ [١] .

﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [٢] .

﴿ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ﴾ [٣] .

---

(١) سورة محمد ٣٨.
(٢) سورة إبراهيم ١٩، ٢٠.
(٣) سورة المائدة ٥٤.

هذا القانون إنما هو سنة كونية تجري على كل من تخلـى عن الإسلام وأدار ظهره لتعاليمه وارتبطت أهدافه وطموحاته بالدنيا فقط، وتعلقت مشاعره وأحاسيسه بحبها وحدها ونسيان ما عداها وكره الموت، وهنا يظهر الضعف الحضاري في المجتمع الذي يعيش هذه الحالة.

لكن لهذا الضعف مظاهر ومسببات في الداخل والخارج معاً وهذه المسببات تنحصر في عنصرين هما كما أشرنا من قبل:

١-حب الدنيا.

٢-كراهية الموت.

أما حب الدنيا فكلنا يحب الدنيا... مَن يكرهها...؟

لكن هناك فرق بين حب وحب... فرق بين حب يتخذها وسيلة لغاية، وينظر إليها على أنها منحة من الزمن منحها لنا الله، ونعمة كبرى تمهد الإنسان للخلود وتجعله بالعمل الصالح أهلاً لجوار الله في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وبين حب ينحصر فيها ويغفل عما عداها، ويعيش ليومه فقط، ويتعبد لمتاعها الرخيص، ويدفع في سبيل الحصول عليها كل شيء بما في ذلك العرض والشرف والدين.

ذلك هو الحب المحظور المرفوض... وهذا ما يعنيه التشخيص

النبوي لسر الداء وأصل البلاء وهو حب الدنيا إنه يعني:

١- ألعبّ من متاعها الرخيص ولو على حساب كل شيء حتى أعناق الآخرين.

٢- الجري وراء زينتها واستهلاك أشيائها.

٣- التزاحم على الحقوق وإغفال الواجبات.

والاستمرار في هذه الحالة دون محاولة الرجوع أو اليقظة يترتب عليه ويتولد منه التعود على مستوى معين من طراوة العيش ورخاوة البيئة، تموت فيه الرجولة، وتغيب فيه الفروسية والمروءات، ويعيش الناس عبيداً لرغباتهم وشهواتهم.

ومن ثم تنهزم العقائد في النفوس، ويتخلى عنها الإنسان في أول صدام، كما يبيع دينه بعرض من الدنيا في أول مساومة.

ويظهر في المجتمع الإنسان صاحب الشخصية المزدوجة أو المصاب بالانفصام والازدواجية الذي يقول شيئاً ويفعل شيئاً آخر، وقد يُظْهِرُ الإيمان في الشكل لكن أعماله كلها تخالف ما يقول، وهذا ما يسمى في المصطلح الشرعي بمرض النفاق، والنفاق هو الميكروب الذي يولد فيه الإنسان صاحب الوجهين والبعد الواحد.... فهو هنا بوجه وهناك بوجه آخر، لكنه يدور في كل الوجوه حول منفعته الذاتية فقط، إنه لا يشعر إلا بحاجته ولا يعبأ إلا بشهواته المتدنية.

إنه إنسان يتجاوز حقه في الأخذ ولا يحس بواجبه في العطاء.

هذا هو حب الدنيا باختصار شديد وما ينتج عنه من آثار وتداعيات تسلب الفرد كرامته وشخصيته وتحوله إلى مجرد حيوان لا يعرف من القيم شيئاً.

أما كراهية الموت الذي يمثل العنصر الآخر للداء العضال فإنَّ مظاهره تتمثل فيما يأتي:

١-غياب فكرة الاحتساب لله.

٢- غياب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خوفاً من غضب الآخرين وضياع المصلحة الشخصية.

٣- عدم استشعار الواجب تجاه الفرد والمجتمع والأمة، ومن ثم تتقطع روابط الأخوة فلا تتحرك لما يصيب الآخرين من إخواننا، ويسود بيننا منطق الشأن الداخلي الذي يخول للوحوش أن تنفرد بضرب الفريسة دون مغيث أو مجيب أو حتى معترض. فتحدث المذابح للمسلمين في قطر من الأقطار فلا تدين أو تعترض بقية الأقطار على ما يحدث بحجة أن الذي يحدث شأن داخلي.

وكذلك تغيب روح الإيثار والتضحية لتحل محلها روح الأنانية والجبن وتذكر الذات ونكران الآخرين.

هذا هو حب الدنيا وكراهية الموت.

وعندما تكون السيادة في النفس والمجتمع لهذين العنصرين - حب الدنيا وكراهية الموت - تظهر مجموعة من المعاصى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية :

فعلى المستوى الاجتماعى تبدو المعاصي ممثلة فيما يأتى :

١ - اهتزاز الكيان الأسرى .. وظهور الشك وفقدان الثقة حتى بين الزوجين .

٢ - تفكك رباط العائلة فيصبح كل فرد فيها فى واد والآخرون فى وادٍ آخر .

٣ - شيوع الجحود ونكران الجميل بين الأبناء تجاه آبائهم وذويهم .

٤ - قطع صلة الأرحام وغياب الحنو والرحمة من الأغنياء على الفقراء ومن الأقوياء على الضعفاء ومن الكبار على الصغار .

٥ - فقدان الإحساس بمشاعر الآخرين ولو كانوا جيراناً أو حتى ذوي قربى .

٦ - غياب الارتباط بالله في مجال التعليم والتربية وصياغة العقول .

٧ - فقدان القدوة الطيبة فى مجال السلوك والأداء اليومى ، وشيوع القدوة السيئة ، وتشجيع نمطها ، واستعمال ثقافتها فى القول

والفعل.. وتحريض الآخرين على الإقتداء بها بدوافع المصلحة والأنانية انطلاقاً من مبدأ فاسد هو:

«أنا ومن بعدي الطوفان.»

إن جاء الطوفان فانج بنفسك وضع ولدك تحت قدميك».

وهكذا تسود الفوضى في العلاقات، وتنحل الروابط المقدسة، ويتفكك المجتمع، ويتحقق الوهن الحضاري.

اما المعاصي الاقتصادية فتتمثل فيما يأتي:

١- شيوع الربا ومحاولة تبريره وتمريره حتى يفقد المجتمع حساسيته تجاه هذه الخطيئة والتي هي من أكبر المحرمات .

٢- انتشار الاستغلال والاحتكار والغش والتدليس في البيع والشراء والأخذ والعطاء.

٣- انتشار الرشوة في كل شيء حتى في الحصول على أبسط الحقوق الطبيعية.

٤- فقدان الإحساس بالملكية الاجتماعية أو بالملكية العامة للأشياء والمؤسسات والتجرؤ في العدوان على المال العام بأساليب متعددة بعضها ظاهر جلي، وبعضها خفي، كالرشوة وما يسمى بالعمولة وسرقة المخازن واصطناع الحرائق في موسم الجرد السنوي وعند نهاية العام.

٥- غياب الوفاء بالعهود والعقود والتحايل على بنود القانون وسلطان القضاء.

٦ - خلق الأزمات الاقتصادية فى محاولة لإشاعة الندرة فى بعض السلع ليستفيد المحتكرون برفع الأسعار وإغلائها على خلق الله .

٧ - سيادة نمط القيم المادية وسيطرته على النفوس والعقول ومفاهيم الثقافة وميادين الحياة المختلفة ، وجعله معياراً لتقييم الناس والأعمال والأشياء وحتى الأفكار والثقافات .

٨ - انكماش وتراجع مفهوم القناعة فى نفسية وشخصية الفرد وسيطرة الأطماع المجنونة بغير ضوابط أو بغير حدود .

٩ - يتحول المتاع الرخيص والغرض الفانى « الشقة والفيلا والسيارة والوظيفة ورصيد البنك » إلى أن يصبح منتهى الغاية والأمل ولو بذل الإنسان فى سبيله كل شىء حتى العفة والشرف والكرامة الإنسانية .

أما المعاصى السياسية فتتمثل في :

١ - شيوع القهر والاستبداد ومصادرة الحريات واختزال الوطن والتاريخ والماضي والحاضر والمستقبل في شخص واحد اسمه الحاكم .

٢ - قبول الدنية من الشعوب ، والرضا بالعيش في مهاد المذلة والمهانة دون مقاومة أو اعتراض .

٣ - تمكين الآخرين من أعداء الله من إدارة دفة البلاد ولو بشكل خفى ، والسيطرة على مراكز القرار ومقدرات الأمة حتى لو رفعنا

علم الحرية، ورددنا في المدارس نشيداً وطنياً واحتفلنا في كل عام بيوم التحرير وعيد النصر.

٤- التنازل عن الثوابت الحية لشخصية الأمة إرضاءً للأعداء ومن يسمون «بالأصدقاء» معاً، كالتنازل عن العقيدة والتفريط في الهوية بالدمج الممسوخ في نظم الآخرين ومناخهم الثقافي والاقتصادي ولو كان منافياً ومناقضاً لبيئتنا وظروفنا واقوى الثوابت في حياتنا.

٥- إلهاء الشعوب بتوافه الأمور، وتركيز الاهتمامات على مطالب الجسد وتامين الخبز والزيت.

٦- اللهث وراء كل موضة وكل جديد من مصطلحات الآخرين ومصنوعاتهم دون الوعي بما تحتويه من مضامين يعمل الآخرون على تكريسها في حياتنا.

ثم تمحى شخصية المسلم شيئاً فشيئاً وتذوب ملامحها وقسماتها العامة وتتحول جملة أو بالتقسيط المريح لنمط ممسوخ يريده لنا الأعداء ويخططون للوصول إليه لنكون تحت سيطرتهم وفي أيديهم عصى طيعة يضربون بها أعداءهم ثم يكسرونها بعد أن تصبح ورقة محروقة قد أدت دورها في لعبة الصراع.

هنالك يأتي وعيد الله بعقوبة المفرطين وتسليط الآخرين عليهم، وإسقاط هذا الجنس الذي فقد صلاحه وصلاحيته لحمل الرسالة وأداء الأمانة وليس بإفناء أمة.

فالجنس قد يفنى إذا فقد صلاحيته وتخلى عن رسالته وعاش لشهواته ونزواته.

لكن الأمة تبقى لأنها أكبر من أن تنحصر في جنس، بل تذوب فيها الأجناس إن كانت صاحبة رسالة.

فالأمة دين واحد وعقيدة واحدة، ومنهج واحد، وتصور واحد وإن اختلفت وتعددت أجناسها وأعراقها.. إلا أن الأجناس والأعراق والألوان تذوب كلها في بوتقة الإسلام وتتحول إلى أمة واحدة. ما دامت تدين بدين الله الذي هو الإسلام.

أما الجنس فهو مجموعة من البشر تلتقي فيما بينها على رباط غير رباط العقيدة... فقد تكون اللغة هي الرابط، أو قد يكون العرق هو الرابط، وقد يكون الأصل الواحد في القبيلة أو العشيرة هو الرابط... المهم أنها ترتبط بغير رباط الدين... وخاصة دين الإسلام.

ومن هنا نقول: بأن تسلط الآخرين، إنما هو تسلط على جنس فقد صلاحه وصلاحيته كما أشرنا بسبب تفريطه في عقيدته، وتخليه عن أداء رسالته وشيوع المعاصي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي أشرت إليها وعرضت نماذج لها سابقاً.

وهذا التسلط ليس بإفناء الأمة وإنما هو يتم باستبدال خلايا فاسدة

لتحل محلها خلايا أخرى صالحة تكوز قادرة من خلال دينـهـا وهويتها ومقدراتها وثروتها على حماية ذاتها وثقافتها...

كما تكون قادرة على حماية أرضها وعرضها وشرفها من عـبـث الآخرين، وتضع الحدود أمام أعدائها في التعامل معها سلمـاً أو حرباً..

ودليلنا على ذلك مبشرات من الوحي المعصوم ومبـشـرات مـن الصادق المصدوق ﷺ

فمبشرات الوحي: منها قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ (١) .

وقوله تعالى:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ ﴾ (٢)

---

(١) سورة المائدة ٥٤.

(٢) سورة غافر٥١.

وقوله تعالى:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ (١) .

أما مبشرات الصادق المصدوق فمنها قوله ﷺ:

«لا تزال طائفة من امتي ظاهرين إلى يوم القيامة».(٢)

«لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى ياتي أمر الله وهم كذلك».(٣)

«لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم، لا يضرهم من خالفهم حتى تاتيهم الساعة وهم على ذلك».(٤)

---

(١) سورة يوسف ١١٠-١١١.

(٢) مختصر صحيح مسلم ص ٥٤٩ح رقم ٢٩٦١.

(٣) مختصر صحيح مسلم ص ٢٩٠ رقم ١٠٩٥.

(٤) مختصر صحيح مسلم ص ٢٩٠ حديث رقم ١٠٩٦.

أَعْـلَى وَأَغْـلَى رَأْسِ مـالٍ !

... وبين الحين والحين يسوق القدر مفاجاة تشكل دليلاً على مبشرات الوحي المعصوم في أرض الواقع، وتحقق نبوءة الصادق المصدوق ليراها الجميع بعيون مشدوهة مذهولة...وهم يتساءلون: كيف يحدث ذلك..؟

من أين جاء هؤلاء..؟

وأين كانوا..؟ ألم يذوبوا في مجتمعاتهم؟

ألم تنسحق عقائدهم في ظل الاستبداد والقهر ونظم الحديد والنار..؟

من أين جاء هؤلاء..؟

ومن أين تأتيهم هذه القوة..؟

وأين تكمن في نفوسهم تلك الجسارة التي تتحدى الموت ولا تبالي بالحياة..؟

ويجيب الواقع والتاريخ بلسان الحال ولسان المقال...

ستبقى الشعوب حية نابضة تموج بالحياة والحركة ولو تحت السطح وفي الأعماق ما ظلت متمسكة بدينها وعقيدتها...

فالعقيدة هي أغلى وأعلى رأس مال في ميزانية الأمم والشعوب.

وبها.. وعن طريقها تستطيع كل الشعوب المقهورة أن تحرر نفسها.

وأن تتحدى طواغيت الظلام والقهر.

وأن تجتاز الأزمة وتكسر عن أعناقها طوق التخلف .
كما تحطم بدينها وبدافع من عقيدتها قيود القهر والاستعباد ..
وإلا فتحت أي شعار حاربت الجزائر عشرات السنين ودفعت من دماء أبنائها أكثر من مليون شهيد..؟
وتحت أى شعار استيقظ شعب البوسنة ووقف أمام ثالث قوة عسكرية فى أوروبا حين تآمرت عليه الدنيا وتخلى عنه الجميع ..؟ وتحت أى شعار هب الشيشانيون ليدافعوا عن دينهم وهويتهم ويتحدون الآلة العسكرية الثانية فى العالم بكل ضجيجها ... تضربهم ويضربونها ، تخرجهم من أرضهم حيناً ... ثم يعودون فيسحقونها ، وهم لا يبالون بالموت بل وهم يهزؤون بالحياة ...
هذه صورة للشعوب الحية حين تبقى عقائدها ، وكأن القدر يسوقهم ويدفعهم ليكونوا مفاجأة ودليلاً يدفع ويدحض حجج أولئك الخائرين الخائنين الذين يموتون من الخوف قبل مجيء الموت نفسه ... ويهرولون نحو أعدائهم ويسكبون مياه الوجه على الأعتاب كسباً لارضاء الصاحب أعدى الأعداء حتى صاروا عباد مناصب وعبيد « العم سام » .
وهذه هى دلائل ومبشرات الصادق المصدوق ومفاجآت القدر للذين ينسون أو يغفلون عن السنن الكونية التى تحكم مسيرة الوجود ، وتحدث القرآن عنها منذ أربعة عشر قرناً من الزمان ولا يزال يتحدث عنها ليكشف الخائنين والخائرين والمرتعدين من خوف العدو والمسارعين فى طاعته وتلبية مطالبه .

وكأن القرآن يقول لهم:

أيها الجبناء الخائفون الخائنون: لقد بعتم الأرض والعرض في صفقة واحدة خائبة خاسرة. اذهبوا بعيداً إلى غير رجعة تصحبكم مذلة الخيانة والعار فلستم أهلاً لحمل الرسالة وأداء الأمانة وسيبقى الإسلام وإن تخليتم. وسينتصر وإن عمت الهزيمة نفوسكم وملأ الرعب قلوبكم.

فهناك آخرون يحبون ربهم ويحبهم ربهم، إنهم هناك في ضمير الغيب يأتون في اللحظة المناسبة ليحملوا الرسالة ويؤدوا الأمانة ويجاهدوا في الله دون خوف أو ملام.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ ﴾ .

« فسوف..........!!!

... فسوف يذهب هذا الدين ويضيع؟ فسوف تفنى هذه الأمة؟ فسوف ينتهي الإسلام من على وجه الأرض؟ لا.. لا..

﴿ .... فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ (١) .

«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»

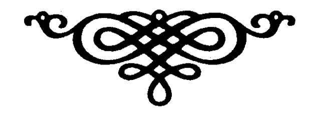
---

(١) سورة المائدة ٥٤.

وأمر الله يأتى حتماً ... إما بالنصر فى الحياة الدنيا والتمكين لأهل الطاعة والإيمان ... وإما بإفناء الحياة وقيام الساعة وحينئذ ينقسم الناس فريقان ..

فريق فرط وتخلى ، وتراجع وخان الأمانة ... وهؤلاء يحشرون مقرنين فى الأصفاد ، أذلاء كالذر تدوسهم الأقدام ، وتعلوهم المذلة ، وتغشى وجوههم بالنار .

وفريق آخر تمسك بعقيدته ورفع رايتها ولم يتخل عنها إلى الرمق الأخير ... وهؤلاء يأتيهم وعد الله بالنعيم المقيم والجوار الخالد فى جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر .. وكفى بجوار الله شرفاً وعزاً .



قال تعالى:

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (١) .

وقال تعالى:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ (٢) .

كيف يمكن أن نتعامل مع الواقع المتأزم في ظل هذين النصين الكريمين؟

نحن أمة لا حضور لها ولا تأثير، وليس لها دور أو تميز، وهي تستقبل ولا ترسل... وتأخذ في الزمن الحالي ولا تعطي، وتتأثر ولا تؤثر...

تلك هي معطيات الواقع بكل ما فيه من حسرة ومرارة...

فكيف يتفق ويتسق هذا الواقع مع مدلول النصوص القرآنية ومنطوقها؟

وثمة مجموعة من الأسئلة تطرح نفسها بإلحاح.

س١: كيف ينطلق الإسلام لإنقاذ العالم من خلال أحوال المسلمين المتأزمة..؟

---

(١) سورة الصف ٨-٩.

(٢) سورة غافر ٥١.

س ٢ : وتسلط الآخرين علينا وسيطرتهم على كل مقاليد الأمور تقرياً ، هل لهذا التسلط وهذه السيطرة من فكاك ..؟

س٣: وهل يمكن تجاوز هذه المحنة والخروج منها واستعادة العافية الإسلامية مرة أخرى..؟

أم ان الأوضاع ستؤول إلى فناء الأمة ويستبدل بها غيرها بعد سقوطها إلى الهاوية أو بعد سقوطها في البعد الثالث كما يقول العالم المصري الدكتور جمال حمدان رحمة الله عليه. في كتابه «شخصية مصر» الذي أشرنا إليه من قبل.

س٤: وإذا كان غيرنا في حاجة إلى الإسلام ألا ترى أننا أحوج من غيرنا إلى الإسلام في حياتنا..؟

هذه تساؤلات ذكية طرحها ويطرحها الكثير من المثقفين في لقاءات متعددة؟..

وهي تشكل أحد الهموم لكل باحث ومتابع ومهتم، والإجابة عليها تتطلب إيجازاً وشروحاً...

ولما كان الوقت لا يتسع للتفاصيل الطويلة.. فإننا نستأذن في عرض موجز فقط على أن نوزع الشروح إلى مقالات أخرى إن اتسع الوقت وامتد العمر وأدركتنا عناية الله وتوفيقه.

ولنبدأ بأول النقاط إجابة على السؤال الأول فنقول:

إن قادة الفكر ورواد الفلسفة في القرن العشرين يجمعون على ظهور مأزق حضاري سيؤدي إلى كارثة... وهذا المأزق جاء نتيجة

للمناهج والأيديولوجيات التي اعتنقها "بشر وسادت في العصر الحديث، وكانت نتيجتها وثمرتها إنسان الحيرة والقلق والاكتئاب... إنسان لا يأخذ من الدنيا بقدر حاجته وإنما يأخذ منها بقدر شهواته... بل إن طموحه لا يتوقف عند الأخذ منها وإنما يمتد أحياناً بدافع الطمع والجشع والأنانية إلى التطلع لا للأخذ منها فقط، وإنما لأخذها كلها، وفي أقصر زمن ممكن، وبكل وسيلة مشروعة أو غير مشروعة.

ولذا فهو لا يشبع في استهلاكه، ويبحث عن الرفاهية والرخاء بأمور يفتعلها ويصطنعها... وفن الإعلان عن السلع وفنون العرض وفنون البيع وألوان المعروضات خير دليل على ما نقول.

وقد أجاد عميد فلسفة القرن العشرين «هادجر»[1] في وصف هذا العصر حين قال:

«إنه عصر يبدو كقصر شامخ في منظر كئيب يعاني سادته من الأرق والقلق وغرور القوة. ويعاني خدامه من الجهل والجوع والمرض ومذلة الخوف».

فالإنسان أصبح إنساناً آلياً... ولم يعد إنساناً ذا إنسانية... لم

---

(١) هادجر مارتن ١٨٨٩-١٩٧٦م واحد من أعظم فلاسفة ألمانيا وربما أهم فيلسوف في القرن العشرين، عمل أستاذاً في جامعة ماربورغ ثم في جامعة فرايبورغ حيث خلف هوسلر بعد أن كان مساعده، ثم تولى عمادة الجامعة سنة ١٩٣٢م واستقال في العام التالي لاختلافه مع السياسة الثقافية للوطنين الاشتراكيين.

يعد ذا عواطف يحب ويكره، ويتعب ويستريح، ويحقق ذاتـه... وإنما هو إنسان محسوب...

كل مشاعره الداخلية تحتاج إلى من يبثها ويبعثها فيه بوسائـل مصنعة... مثل الحبوب، فالحبوب الآن تحركه فيصحو بها وينام، ويهدأ بها ويثور، ويفيق بها من غيبوبته وبها أيضاً يغيب.

هذه الحبوب تقوده إلى ما يسمى بالانتحار الصامت الشامل.

والحضارة التي سادت في الغرب كان يفترض كما قلنا من قبل أن تحل مشكلات الإنسان عن طريق العلم الذي حققته... ولكن العلم أحبط إحباطاً ذريعاً... فهو وإن كان قد ساعد على اكتشاف بعض الجراثيم والميكروبات التي تفتك بجسم الإنسان إلا أنه أهمل وتنكر لآثار العقيدة الصحيحة في إحداث التوازن النفسي في شخصية الإنسان ولم يعبأ بالآثار المدمرة التي تترتب على غياب تلك العقيدة وما ينتج عن هذا الغياب من أغراض وأمراض تفتك بروح الإنسان ووجدانه وتسبب له القلق، والخوف، والحيـرة، والاضـطـراب، والعدوان بلا مبرر، والفتك بالآخرين بلا سبب، وانتهاك الحرمات، حتى حرمات أقرب الناس إليه...

إحباط شامل على جبين العلم والحضارة...

ومعاناة لا حد لها على جبين البشرية...

وهموم بلا نهاية تثقل كاهل الإنسانية...

وضيق بلا حدود يحيط بالإنسان من كل جانب.......

وشر يطفح كل يوم هنا وهنالك، يبدد الأمل في حياة طيبة، ويحول ثمرات العلم إلى علقم.....

كما يحول منجرات الحضارة إلى حطام......

ويضاعف من متاعب البشر ويضيف إليها مزيداً من المعاناة والإجهاد النفسي والاجتماعي والاقتصادي -رغم الوفرة وزيادة الإنتاج وتقدم التكنولوجيا، وسيطرة الإنسان على منابع الثروة والثراء-. وقد حدث ذلك لأنها حضارة بلا قلب ولا وجدان ولا مشاعر... إنها حضارة تعاملت مع الإنسان من خلال بُعْد واحد فقط هو عالم المادة وغابت به عن عالم الروح، حشرته حشراً، وحصرته حصراً في عالم الملكية والتملك والسيطرة وغابت به عن عالم الملكوت.

لقد انحصر نشاطه في عالم الأرض ونفض يديه بالجملة عن عالم السماء... فكانت النتيجة حضارة تقدمت فيها الآلة وتأخر الإنسان.

كل شيء فيها يخضع للآلة الحاسبة والحساب الآلي (computer& calculator) حتى أرقى أنواع المشاعر والأحاسيس.

إنها حضارة الآلة في غيبة الإنسان.

حضارة تتحرك على حساب الآخرين وتتمدد على حساب الخير والفضيلة، كما يقول فلاسفتهم، ونحن المسلمين نلهث وراءها فلا

نحن قد احتفظنا بما لدينا ، ولا نحن قد التحقنا بهم ، وكان حالنا كالمُنبتِ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى ... ؟؟؟

وهذه الحالة بكل شرورها وآثامها تهيء العالم فعلاً لاستقبال الإسلام ، - كما يقول كثير من المفكرين - لا من خلال وضع المسلمين المتأزم وإنما من خلال البحث الجاد عن بديل ينقذ الوجود ويفك أسر الحياة . وحال المسلمين المتأزم لن يعوق الآخرين يقيناً عن إمكانية الوصول إلى الإسلام ، لأن الإسلام فى الزمن الراهن ليس له أهل يشرقون به إلى عالم الشرق أو يغربون به إلى عالم الغرب ، وإن كان له أمة تنتمى إليه جغرافياً إلا أنه يحملها ولا تحمله ، وتعيش عليه ولا تعيش له ، وتنسب إليه جغرافياً ولا تنتمى إليه ديناً وهوية على الوجه الصحيح ...

لكن هذا الموقف المتأزم باستمرار والمخجل أحياناً لن يعوق الغرب الغارق فى مشكلاته عن إمكانية الوصول إلى الإسلام ...

فهم وتحت ضغط الأزمة الطاحنة وبمحض اختيارهم وإرادتهم سوف يتجهون إلى الإسلام يرونه سفينة نجاة لا منقذ سواها ، وسيُقلّب الإنسان الغربى حتماً كأى إنسان كل أوراقه بحثاً عن مخرج وملاذ لأزماته الطافحة والمستكنة والمستحكمة ... وقد بدأ فعلاً ... لكن هذه الأوراق لن توصله إلى نتيجة ... وأخيراً سيقول ...

لماذا لا نتصفح أوراق هذا الدين الذى هو الإسلام .. ؟

فلربما احتوت تعاليمه وتوجيهاته بعض الشفاء من أمراضنا ..؟

ولربما احتوت تعاليمه وتوجيهاته بعض أسباب النجاة..؟ كما أشار الدكتور عماد الدين خليل.

ومع ازدياد الآلة الإعلامية في الغرب شراسة وكراهية للإسلام وإلصاق كل نقيصة به، وتشويه كل حقيقة فيه، ورمي أتباعه بالتعصب والتطرف والإرهاب، إلا أن قادة الفكر هناك بدؤوا فعلاً في البحث عن حلول....

اَلْمَأْزِقُ الْحَضَارِيُّ .. فِى غِيَابِ الْإِسْلَامِ

لكن أمراض النفوس وعلل البشر لا تعالج بأفكار ارضية، فيها من الخطا أضعاف أضعاف ما فيها من الصواب، وكل حلول تتم في غيبة الإسلام الذي هو منهج الخالق للمخلوق وكتاب الهداية للناس جميعاً، ورسالة النور لكل البشر ..كل حلول تتم في غيبة هذا الدين لن تحظى إلا بالفشل، ولن تجلب للإنسانية إلا مزيداً من الضياع والقهر وغياب الإنسانية في الإنسان... والعالم قد جرب... فقد سادت النازية والفاشية زمناً ما وامسكت بزمام جزء كبير من مساحة الأرض... فماذا كانت النتيجة؟؟... مزيداً من القتل وسفك الدماء والتدمير واغتيال الحياة... وضحايا بعشرات الملايين من البشر.

وسادت الماركسية اللينينية وسيطرت على نصف الكرة الأرضية... وآلت إليها مقاليد الأمور في السياسة والاقتصاد وتدبير شؤون

الحياة الاجتماعية للشعوب وأمور الحرب والسلام... فماذا كانت النتيجة..؟؟ مزيداً من القهر والكبت واغتيال الحريات ومصادرة المشاعر والأحاسيس.

ثم سقط المعبد على رؤوس الكهان، وماتت آلهة الإلحاد التي كفرت بالله وآمنت بنفسها فقط.

وتبخر الحلم، وتبين أن السراب لم ولن يكون ماءً يروي الظمآن ويشفي الغليل.

وبعد سقوط الماركسية تحدثت وسائل الإعلام عن النظام العالمي الجديد، وتغنى الكثيرون بالحلم الذي يحول العالم إلى قرية متحابة يعيش فيها الجميع وهم ينعمون بالحرية والكرامة والمساواة والأمن... لكن تبين بعد ذلك أن كل الكلام الذي قيل كان مجرد طعم مسموم حتى ينفرد قطب واحد بزمام الكرة الأرضية، ثم يصدر أحكامه على المخالفين له بالحصار والتجويع... ويتدخل في شئون الآخرين تحت علم الأمم المتحدة وباسم حماية النظام العالمي الجديد...

ويذيق الدنيا مرارة الصراع والعنصرية.....

ويمارس اقسى درجات التحيز وبلا مبرر......

ويهدد المنظمات الدولية نفسها، بل ويجبرها لصالحه لتقوم بما يريد فرضه على الآخرين، والنتيجة النهائية مزيد من السيطرة والقهر وإحكام قبضة الأقوياء على الفقراء.

ومزيد من القلق والحيرة والاضطراب في قلب مجتمعات الثراء

والثروة والثورة التكنولوجية، ومزيد من العنف والضياع،
ومزيد من الجشع والاستعلاء وانتهاك حقوق الشـعـوب والأمم،
والنظر بلا مبالاة لشعوب تباد في كل لحظة من الليل والنـهـار
تحت وطأة الجوع مرة، كالعراق والسودان، وتدمر في بؤر الصراع
المر المصنوع عمداً مرة أخرى كالجزائر وغيرها.

وأمام هذا الفشل يبحث قادة الفكر ورواد الفلسفة وعلماء النفس
والاجتماع عن بديل مقبول ومعقول... ولن يجدوا في نهاية المطاف
غير دين الله الإسلام، فهو كما كان في السابق لديه إمكانات متعددة
لكي يتمكن من تخطي العراقيل التي وضعت أمامـه، وأول هـذه
العراقيل هو حال المسلمين وتخلفهم.

والأرض على مستوى العالم وفي كل البقاع مهيأة لاستقـبـالـه
وقبوله أيضاً..وأساس المشكلة في المسلم لا في الإسلام.

هَزِيمَةُ الْمُسْلِمِ .. لا هَزِيمَةُ الإِسْلامِ

فالمسلم ونقولها بكل أسف وأسى قد هزم الإسلام في نفسه، هزمه في وجدانه أولاً، ثم هزمه في سلوكه وممارساته اليومية وغيَّبه عن كل حياته فلم ير الآخرون له أثراً في حياة المسلم وهذه الحالة أهلت المسلم أن ينهزم أمام الآخرين.

فالمشكلة في المسلم لا في الإسلام، لأن الإسلام ظل هو هو عبر السنين والحقب، لكن المسلم تهاوى، وتراجع، وخار، وخان الأمانة، وقتلته كراهية الموت قبل الموت نفسه، فعاش في الدنيا مشلول الإرادة، غائب العقل، خائر النفس، ضعيف الجناح، وأصابه حب الدنيا في مقتل، فعاش يتنازل ويتراجع ويتخلى من أجل الرغيف، والراتب، والعلاوة، والموقع، والبيت، والزيت..

والمفروض في المسلم الذي يحب الإسلام ويخشى عليه أن يقوم بإصلاح نفسه أولاً...

وأن يحقق الإسلام في ذاته قبل كل شيء وقبل أي شيء.

فهنالك فرق بين من يعيش في الإسلام، ومن يعيش فيه الإسلام.

فحياة المسلمين أزياء وتقاليد وعادات.

والحياة في الإسلام إخلاص، وعقيدة، وثبات.

وفرق بين مسلم يخضع للتقاليد وينقاد، وبين مسلم ينطلق من دينه مفكراً ويقود.

ودعونا نقول كلمة حق في هذا المقام ومن خلال هذا المتن الصغير

الذي نشير فيه وبه إلى خطوط عريضة تصور القسمات العامة للمشكلة بأسبابها وجذورها وتداعياتها وتحدد منطلقات الحل بملامحه ومكوناته ومقوماته من خلال دين الله الذي ينادي عباده:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [١] .

دعونا نتناول المشكلة الأولى وهي مشكلة الإنسان المسلم أو الشخصية الإسلامية... فهذه الشخصية في غياب المنهج فقدت الكثير من فعاليتها ومنهجيتها، وصوابها، وأبعاد تكليفها ومسئوليتها في الشهادة على الناس.

وانتهت في ظل هذا الغياب إلى صورة محزنة من التدين العاجز الذي يعيش صاحبه بعيداً عن ميادين الإجادة والإتقان لفنون الحياة المختلفة، بعيداً عن فهم حركة التاريخ في الماضي والحاضر، جاهلاً بفنون إدارة الصراع واستشراف المستقبل، غير مستوعب ومدرك لسنن الله في المجتمعات والأمم والشعوب.

ولا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا إنها تعيش مرحلة الفريسة السهلة وتمارس دور الميت على طاولة التشريح، وهي مرحلة الوهن الحضاري بأبعادها كلها التي أخبر عنها رسول الله ﷺ بقوله:

«يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، قيل: يا رسول الله! فمن قلة يومئذ؟ قال: لا، ولكنكم كغثاء السيل، يُجعل الوهن في قلوبكم، وينزع الرعب من قلوب عدوكم، لحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت». [٢]

---

(١) سورة يونس ٥٧.

(٢) صحيح الجامع الصغير. تحقيق ناصر الدين الألباني المجلد حديث ٦ ص ٣٦٤.

فأسباب الخلل والغياب الحضاري ومسبباته كما أشار إليها الحديث حب الدنيا... الذي يعني العب من متاعها الرخيص واللهث وراء زينتها.. واستهلاك الأشياء منها بغير حدود أو قيود مما يدخل بالإنسان في دائرة الإسراف الممقوت، والتبذير المخل بحركة التوازن الاجتماعي والاقتصادي الذي يزيد الأعباء والأطماع، ويخلق التزاحم والتناحر على الحقوق وإهمال وإغفال الواجبات والمسئوليات.

ويمكن تلخيص ذلك كله إلى أن الأمة تنتهي إلى مرحلة الاستهلاك وظهور الإنسان صاحب البعد الواحد، بُعد المنفعة الذاتية والشهوات المتدنية والذي لا يعنيه إلا نفسه، ولا يهتم إلا بشأنه الخاص ولو غرقت السفينة التي تحمله، إنه الإنسان الذي يتجاوز حقه في الأخذ ولا يحس بواجبه في العطاء.

أما كراهية الموت، الذي هو العنصر الآخر للوهن الحضاري فيعني انكماش فكرة الاحتساب لله في إسداء النصيحة والتوجيه، وإهمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسكوت على الشر.

ومن ثم غياب روح الإيثار والتضحية.

وعدم استشعار المسئولية والواجب تجاه الفرد والمجتمع والأمة، والقعود عن العمل والإنتاج، والاقتصار فقط على الأخذ دون العطاء والاستهلاك البشع دون الإنتاج.

فما الحل؟؟؟

---

(١) صحيح الجامع الصغير. تحقيق ناصر الدين الألباني المجلد حديث ٦ ص ٣٦٤.

لن يكون هناك نهوض أو بناء إلا بتصويب تلك المعادلة والخروج من مرحلة التخلف والعجز ومعالجة الإصابة بالوهن وذلك بدوره لن يتحقق إلا بإعادة صياغة الإنسان وصياغة الشخصية الإسلامية وفق منهج القرآن الكريم، فهو الذي يرتفع بها إلى حقيقة الإنسان السوي، الفاعل والمؤثر، والعارف بربه، العالم بدوره في عمارة الأرض وبناء الحياة.. إنه الإنسان المنتج... الذي يطبق المنهج ويعيش له ويعرف أنه لن يغير خريطة الحياة ولن يصلح الدنيا إلا بتطبيقه للإسلام، ومن خلال هذا التطبيق الجاد تغيب عن ضمائر الأفراد والمجتمعات والأمم نموذج الشخصية المختلة التي تستهلك ببشاعة في الوقت الذي تعيش فيه عالة على غيرها. كما يختفي هذا النمط السيء من خلال التطبيق الجاد عن ثقافة المسلمين وأخلاقهم ومناخهم العام.

وبالتالي تخلو صور الحياة من هذا النموذج السلبي الذي يعوق عملية التطور والنمو، ويشكل في التصور العام قدوة سيئة للأجيال المقبلة.

وفي المقابل لا بد في عملية التربية والتعليم ووسائل صياغة الرأي العام صحافة وإذاعة وتلفازاً من التركيز على بناء هذا الإنسان، إنسان الواجب والعطاء والفعل الحضاري والتأثير الإيجابي البناء.

إنسان البقاء والخلود بالعمل المتميز والإنتاج الراقي كماً وكيفاً – لا إنسان الزوال والاستمتاع والاستهلاك– الذي لا يدرك خطورة التدني ولا يقف خائفاً من التحذير الإلهي.

﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ (١) .

﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ (٢) .

والمؤشرات في حديث الصادق المصدوق تدل على مظاهر المرض وتمكنه من المريض وليس على نزول الموت.

لذلك تبقى إمكانية الشفاء كامنة ومستمرة إذا تمت معالجة المريض بدواء صحيح.

وما أشرت إليه في الحديث عن الوهن إنما هو مرحلة ومرض قابل للشفاء، وأنه لا يعني بحال الموت الميئوس منه.

ومبشرات المعصوم ﷺ، وآيات الكتاب يؤكدان أن الأمة لن تموت وإن اشتدت بها العلة وطال عليها المرض وأن قابلية نهوض هذه الأمة كامنة، ودائمة، ومستمرة إذا أبصرنا شروطها ومقوماتها وتحققنا بأسباب التمكين في الأرض وأحسنّا التعامل مع سنن الله في الخلق.

---

(١) سورة التوبة ٣٨.

(٢) سورة الحجر ٣.

وبناءً على ذلك تكون غلبة الأعداء موقوتة، وتسلطهم علينا إنما هو بسبب معاصينا الفكرية والثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وفي القرآن ما يؤكد هذا...

﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [1] .

وفي الحديث القدسي: **«إذا عصاني من يعرفني، سلطت عليه من لا يعرفني»**. ولا يمكن أن يكون هناك حل إلا بالتوبة الشاملة والعودة الصحيحة إلى الله، فإذا حلت الأمة مشكلتها مع الله انحلت بعد ذلك كل المشكلات. وعندما تعيش الأمة حالة التوبة الصادقة في تلك المجالات، وتتحقق فعلاً توبتنا الفكرية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فإن الفرد والمجتمع يستعيد وعيه بحقائق الإسلام، ويدرك من خلال هذا الوعي دوره ورسالته، وتتحقق شروط النهضة الحقيقية حين تعاد صياغة الإنسان ويتم تشكيله عقلاً وقلباً ووجداناً وسلوكاً وفق المفاهيم الصحيحة لدين الله. وبالتالي يختفي من حياتنا نمط التدين العاجز المشلول الذي يحصر الإسلام في الشكل فقط ويحبس تعاليمه وتوجيهاته في المسجد فقط، ثم يصادر تلك التعاليم في ميادين الحياة!! هذا النمط الذي يمثل التدين المعلب أو المجفف الذي يجافي العقل وينافي الفطرة ويخاصم الحياة ويطفئ الأنوار ويصور الإسلام للآخرين وكأنه شبح الليل المخيف.

---

(١) سورة الشورى ٣٠.

الخاتمة

وبعد عزيزي القارئ، فقد حاولت في هذا الكتاب (الانسان بين الصحوة والسقوط) أن أكشف بعض الحقائق وإن كان أكثرها معروفا للجميع بعد أن أضحت الخيانة تتبجح في بلاد العرب الأجاويد وتعلن عن نفسها في صراحة ووضوح، خاصة وقد امتلأت ساحات الفكر بثقافة التطبيع ومروجي السلام الموهوم ودعاة الهيمنة..

كما امتلأت ساحات السياسة باشباه الرجال الذين لا يجيدون في مواجهة العدو غير التنازلات في كل يوم، بينما يأبى الآخر في غرور وصلف إلا أن يريق مياه وجوه كل العرب في مفاوضات مذلة بعدما أراق أغلب دماء الشرفاء.

وخشي الأحرار والرجال من كارثة السقوط فحذروا ونبهوا وصرخوا قبل ان تقع الكارثة وتكون الطامة.

وضمن صرخات كثيرة شريفة وصادقة جاء هذا الكتاب ... الذي لا يدعي كاتبه أنه الوحيد الذي دعا إلى الصحوة قبل فوات الأوان، وحذر من كارثة مالم تتحرك الإرادة العربية والموقف العربي والعقل العربي ليستعيد وعيه المفقود وكرامته الضائعة وحقوقه ومقدساته المستباحة.

وإني لأرجو أن تكون كلماته كوخز الإبر تنبه ولا تضر، وتبشر بصباح فجر جديد وجيل جديد يتصف بقوة الإرادة ويقظة العزم وصحوة التصميم على استعادة الحقوق والكرامة ورد الاعتبار للعرب لا باعتبارهم جنس وإنما باعتبارهم عقل الإسلام ولسانه ... والويل لهم إن تخلَّوا عن هذا الوصف أو فرطوا فيه.

المؤلف

اَلْمَصادِرُ والْمَراجِعُ

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: السنة النبوية المطهرة

١- صحيح مسلم بشرح النووي- دار إحياء التراث العربي(بيروت)

٢- صحيح الجامع الصغير تحقيق محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، طبعة المكتب الاسلامي (بيروت)

٣- مختصر صحيح البخاري - المسمى بالتجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح للإمام الزبيدي، مراجعة احمد راتب عرموش. تحقيق إبراهيم بركة - دار النفائس الطبعة الاولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م (بيروت).

ثالثا: مصادر اخرى:

١- أرض الرسالات الإلهية للمفكر الفرنسي روجيه جارودي طبعة البانزوس ١٩٨٦م.

٢- جريدة الحياة اللندنية، عدد ١١/٧/١٩٩٦م.

٣- الاساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية للمفكر الفرنسي روجيه جارودي. الطبعة الثانية ١٩٩٦م، ترجمة حافظ الجمالي وصياح الجهيم - الناشر دار عطية، توزيع بيسان للنشر والتوزيع.

٤- مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية، توزيع رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد (الرياض- المملكة العربية السعودية).

٥- الموسوعة العربية الميسرة ، إشراف محمد شفيق غربال - دار إحياء التراث العربي (بيروت) طبعة ١٩٩٥م.

٦- ملف الاهرام الاستراتيجي عدد يوليو ١٩٩٦م.

٧- مجلة كيفونيم التي تصدر في القدس عدد١٤شباط ١٩٨٢م.

فهرس الكتاب